دور العامل العسكري
في تعزيز الدور الخارجي لتركيا

ا.د سرمد امين
الجامعة العراقية/ كلية القانون والعلوم السياسية /قسم العلوم السياسية

The role of the military factor
in activating the external role of Turkey

Prof. Dr Sarmed Ameen
Al iraqia university – college of law and political science
political science department

Sarmed.ameen@aliraqia.edu.iq

المستخلص.

في ظل عالم شديد التنافسية ، لامكان فيه الا للأقوياء ، لأنهم وحدهم القادرون على تحصيل المنافع والدفاع عن المصالح وفرض الدور على الآخرين بحكم الأمر الواقع ، وجدت تركيا على عهد حزب العدالة والتنمية نفسها تسير باتجاه خيار بناء القوة في شكلها الناعم والصلب على أمل توظيفهما معاً لخدمة هدف مركزي يتمثل في استعادة مجد تركيا ودورها الاقليمي والدولي على حد سواء. لكن طبيعة التهديدات التي واجهت صناع القرار التركي وقراءتهم لمصالح تركيا الأساسية بعيداً عن حسابات الناتو ومصالحه التي تغفل عن عمد الحاجات الأساسية لتركيا امنياً وسياسياً اضافة الى ضغوطات المرحلة التي تمر بها الأقاليم المختلفة التي تشكل تركيا جزءا أساسياً منها، كل تلك الاعتبارات رجحت خيار بناء القوة العسكرية كأداة مباشرة وسريعة لصناعة الدور وفرضه على الآخرين. لكن الاتراك ادركوا سريعاً أن لكل شيء ثمن وثمن القوة الصلبة واستخدامها قد نال كثيرا من جاذبية النموذج التركي وعمق القطيعة بينها وبين شركائها في الاقليم وفي العالم فاستدارت في الآونة الأخيرة لتستعيد التوازن الذي فقدته بين القوتين الناعمة والصلبة.

Abstract.

In a highly competitive world, in which only the strong are able, because they alone are able to obtain benefits, defend interests and impose a de facto role on others, Turkey during the era of the Justice and Development Party found itself moving towards the option of building power in its soft and hard form in the hope of employing them together to serve A central goal is to restore Turkey's glory and its regional and international role. But the nature of the threats faced by Turkish decision-makers and their reading of Turkey's basic interests away from NATO's calculations and interests, which deliberately overlook Turkey's basic security and political needs, in addition to the pressures of the stage experienced by the various regions of which Turkey is an essential part, all of these considerations favored the option of building military power. As a direct and quick tool for creating the role and imposing it on others. But the Turks quickly realized that everything has a price and the price of hard power, and its use has greatly affected the attractiveness of the Turkish model and the depth of the estrangement between it and its partners in the region and in the world, so it turned recently to find the balance that it had lost

between the soft and hard powers.

مقدمة

تندرج القوة العسكرية ضمن أدوات القوة الصلبة أو الخشنة التي تلجأ إليها الدول لتنفيذ أهداف سياستها الخارجية، وخاصة في إدارة الصراعات والأزمات الخارجية. ورغم أن النظريات الأمنية والدفاعية الحديثة تشير إلى أن القوة العسكرية لا يمكن أن يكتمل تأثيرها بمعزل عن جوانب القوة الأخرى (التكنولوجية والاقتصادية والثقافية والسياسية) إلا أن التطورات والمعطيات التي شهدتها البيئتان الإقليمية والدولية في السنوات الماضية تشير بوضوح إلى أن القوة العسكرية ما تزال تمثل الركيزة الرئيسية للقوة الشاملة للدول والعامل الرئيسي في تحديد وزنها السياسي في النظام الدولي، وهذا يمثل عودة للنظرية الواقعية في العلاقات الدولية التي كانت تنظر إلى القوة العسكرية باعتبارها حجر الأساس في القوة الشاملة للدول، وأن السلوك الدولي والحروب والتحالفات والبحث عن الهيمنة والسعي لإيجاد التوازن في القوى يمكن التنبؤ به من خلال النفوذ العسكري لأعضاء النظام الدولي، ومن هذا المنطلق تسعى الدول لتعظيم قوتها العسكرية، باعتبارها أهم أدوات تحقيق مصالحها القومية.

ولعل هذا ما يفسر مساعي القوى الرئيسة في العالم كالولايات المتحدة وروسيا والصين وبريطانيا والاتحاد الأوروبي لتطوير قدراتها العسكرية وزيادة ميزانياتها الدفاعية عاماً بعد الآخر، ولم يغير من الأمر شيئاً الظروف الاستثنائية التي خلفتها جائحة كورونا على الاقتصاد العالمي وعلى سائر المجالات الأخرى فكل المؤشرات تؤكد أن التسلح والانفاق على التسلح وتطوير ترسانات السلاح يمضي بوتائر أسرع من السابق.

وتركيا على عهد حزب العدالة والتنمية وفي ظل حكم الرئيس رجب طيب أردوغان لا تخرج عن اطار هذا السباق العالمي المحموم للحصول على القوة ومراكمتها وتطويرالقدرات الذاتية في مجال انتاج الأجيال الاكثر حداثة من الأسلحة والذخائر والمعدات الحربية لأنها تدرك حقائق القوة العالمية وتعرف تماما أن القوة لها الكلمة الفصل في تحصيل المنافع والدفاع عن المصالح الحيوية للأمن القومي. ان القوة صارت تحسب عند الأتراك، وكذلك عند غيرهم، بنتائجها على الأرض وليس فقط بكمها ونوعها.

لقد جربت تركيا هذه الحقيقة أيضا في سوريا وليبيا وفي ناغورني كاراباخ حيث أستطاعت فرض رؤيتها في الملفات المذكورة رغم التحالفات العسكرية المواجهة لها على الطرف الآخر من المعادلة بما فيها الولايات المتحدة الأمريكية. لقد نجحت تركيا في كل هذه الملفات في تجسيد مقولة» أن المصالح توجد حيث تستطيع المدافع ان تصل» واوجدت لنفسها دورا سياسياً خارجياً له اليد الطولى في تقرير مآلات النزاعات الاقليمية المسلحة ،بل وفي تشكيل الحكومات في تلك المناطق وفي خلق الأرضيات السياسية المناسبة التي ستشكل رافعة المصالح والنفوذ المستقبلي لتركيا في مناطق تعتبرها مجالاً حيوياً تقليدياً لها.

ان النتائج التي حققتها تركيا لنفسها في الخارج عززت قناعتها بصحة النهج الذي

اتبعته في مضمار بناء القوة ومراكمتها وتطويرها ذاتياً ودفعها الى تخصيص المزيد من الموارد المادية والبشرية لولوج ميادين جديدة أكثر اهمية وأرفع مستوى من حيث التكنولوجيات المستخدمة فيها الى الحد الذي أدخل بعض مؤسسات الصناعات العسكرية التركية في دائرة المنافسة مع الشركات العالمية الكبرى المصنعة للسلاح والمصدرة له أيضا وهو مدخل جديد لمضاعفة الثروات والنفوذ معاً طالما ان الأسلحة الحديثة لم تعد مجرد قطع او ادوات قتالية بقدر ماتمثل فكرة وتكنولوجيا بحاجة الى الخبراء والتدريب والصيانه وقطع الغيار الأمر الذي يعني فتح الأبواب مستقبلاً امام انتشار عسكري تركي في كل مكان تصل اليه التكنولوجيا العسكرية التركية.

ولكي نؤسس لفرضية مركزية في بحثنا هذا فنحن نستعير ونتفق في نفس الوقت مع ماذهب اليه كل من كورت كامبل ومايكل اوهانون في مؤلفهما عن القوة الصلبة بالقول» إن طبيعة الدور الذي تضطلع به القوة العسكرية والمهام الموكلة إليها والنتائج المترتِّبة على أي فعل تقوم به جعلتها أكبر وأضخم وسائل القوة بالنسبة إلى الدولة ذلك أن فشل القوة الإقتصادية لدولة ما قد يؤدي إلى الفقر بينما قد يعني فشل القوة العسكرية لها الموت.[١]

وتشمل القوة العسكرية لأي دولة، بصفة رئيسة، قواتها المسلَّحة بفروعها البرية والجوية والبحرية، وتسليحها التقليدي وغير التقليدي، وكفاءتها القتالية، ومواقع انتشارها، إضافة إلى العلاقات الدفاعية التي تربط الدولة بالدول الأخرى، بما تشمله من تعاون أو تحالف عسكري، وإلى العنصر العسكري الفرعي المتمثِّل بالصناعات الحربية وتطويرها في المستقبل. كما تشكِّل هذه القوة، في الوقت ذاته، مورد قوة يمكن أن يدعم أسس اقتصاد الدولة ودفاعها على مستويات أخرى. وانطلاقاً مما افترضناه وما بيَّنا شموله من أبواب القوة في شكلها الصلب فاننا سوف نسبر غور التجربة التركية المميزة لبناء القوة العسكرية ونتائجها على الأرض ودورها في تفعيل السياسة الخارجية لتركيا الحديثة ووفقاً للمحاور الآتية»

(1) Kurt Campbell and Michael O›Hanlon, "Hard Power: The New Politics of National Security", Basic Books, (2006), p -22

– ويبدو ان تركيا قد استلهمت وقائع مهمة لبناء قناعتها بضرورة التأسيس لقوة عسكرية ذات فاعلية خارجية منها تنامي دور القوة الصلبة في حسم الصراعات على المستويين الاقليمي والدولي وقد تجسد ذلك في الزيادة الكبيرة للانفاق العالمي على التسلح مع مطلع العقد الثاني من هذا القرن بنسبة ٤٪ عن العقد الذي سبقه، اضافة الى التقديرات التركية التي استنتجت عدم كفاية ادوات قوتها الناعمة في تحقيق المطلوب على مستوى تعزيز دورها الخارجي اقليمياً ودولياً..نقلاً عن اسامة الرشيدي، تركيا جدل القوة الصلبة والناعمة – الأبعاد والتحديات، سلسلة دراسات سياسية، العدد ١٤ يناير، المعهد المصري للدراسات، ٢٠٢٢، ص ٦.

المحور الاول
دوافع بناء القوة العسكرية التركية.

يعتبر الجيش التركي نفسه حامي العلمانية منذ إلغاء الخلافة العثمانية في عشرينات القرن الماضي.* وقد أعاد باني تركيا الحديثة مصطفى كمال اتاتورك تشكيله ليتناسب مع هذا الدور وأعطاه الكلمة الفصل في الدولة الجديدة حينما جعله وصياً عليها وعلى نظامها ومبادءها ومصالحها* وعلى هذا الأساس فقد قام الجيش التركي بعدة انقلابات استعاد من خلالها السلطة من يد نخب سياسية وصلت الى الحكم ولم تكن منسجمة في رؤاها أو سياساتها مع توجهات الجيش التركي وكان آخرها انقلاب تموز الفاشل عام ٢٠١٦.[٢]

ورغم الانقلابات المتكررة (على رأس كل عقد من السنين تقريباً) لم يقم الجيش بتعطيل الدستور أو الغائه او استبداله طالما انه يضمن له اليد العليا في الدولة وادارة شئونها. ومنذ انضمام تركيا لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في ١٨ شباط ١٩٥٢ أصبح الجيش التركي ثاني أقوى جيوش الحلف بعد جيش الولايات المتحدة الأمريكية. وقد رتب هذا الانضمام استمرار المعادلة التركية المتمثلة في احتفاظ الجيش التركي بمكانته المميزة وبنزعته القومية كما أسس لها كمال أتاتورك في ادارة البلاد من ناحية وفي ضمان قيام تركيا بدورها الوظيفي في اطار حلف الناتو من ناحية ثانية.

لكن مع وصول حزب العدالة والتنمية الى حكم تركيا عام ٢٠٠٢ تغيرت الكثير من قواعد العمل وادارة الدولة التركية لتصبح اكثر استلهاماً لمبادئ وتوجهات الحزب وأكثر بعداً عن محددات الجيش وسطوته وعن الدور الوظيفي التقليدي لتركيا في اطار التزماتها مع الغرب. فنسجاً على منوال التغييرات التي طالت الفضاء السياسي التركي، الذي أصبح اكثر تركيزا على الشرق سواء في آسيا الوسطى او المنطقة العربية والجار الايراني وجنوب القوقاز والبلقان ومن ثم شرق المتوسط وصولا الى أفريقيا، وأقل التصاقاً بمعادلة الانتماء التقليدي الى الغرب،[٣] ونسجاً مرة أخرى على منوال الثورة الكبرى في

(٢) * – ألغيت الخلافة العثمانية وهي آخر خلافة معترف بها في العالم، في ٣ مارس ١٩٢٤ (٢٧ رجب ١٣٤٢ هـ) بمرسوم من الجمعية الوطنية الكبرى لتركيا. وكانت تلك العملية إحدى إصلاحات أتاتورك بعد إزاحة السلطنة العثمانية واستبدالها بجمهورية تركيا. وخلع عبد المجيد الثاني آخر خليفة عثماني، وكذلك مصطفى صبري آخر شيخ الإسلام عثماني.

* – مع مجيء حركة الضباط ومصطفى كمال أتاتورك لخص السلطة العسكرية في ثلاثة مقولات رئيسية ربطتها بشكل كبير بالحياة السياسية، وأثرت عليها وهي:

–الوظيفة الأساسية لرئيس قيادة الأركان ليست بحث الوضع العسكري فحسب، بل هي في الوقت ذاته وضع الاستراتيجيات.

–التشكيلات العسكرية ينبغي أن تكون على علاقة جيدة بشؤون السياسة الداخلية والخارجية قدر علاقتها بالشؤون العسكرية، وينبغي أن يطلع رئيس الأركان على هذه الشؤون السياسية.

–وظيفة رئيس الأركان التفكير بشكل فني في تشكيل الجيش ونظامه. ورئيس الأركان يفكر في كيفية الحرب وكيفية الدفاع عن الوطن وما يلزم عمله للإعداد لها.وهذه المقولات ربطت العسكر بالسياسة والسياسة بالعسكر بشكل مباشر ومتداخل. نقلاً عن سامي كمال الدين، العسكر والدستور في تركيا، مقال متاح على الرابط الأليكتروني الآتي»

https://mubasher.aljazeera.net/news/reports/15/4/2019/

– لمزيد من التفاصيل حول دور الجيش التركي في الانقلابات العسكرية في تركيا انظر.. محمد زاهد غول،الانقلاب العسكري في تركيا بين الفشل الداخلي والتدخل الخارجي، ط١ ، بيروت، دار ابن حزم، ٢٠١٧. ص – ص ٤٩ – ٦٠.

(3) Alexander Murinson, "The Strategic Depth Doctrine of Turkish Foreign Policy, Middle Eastern Studies,Vol. 42, No. 6 (Nov., 2006), pp. 20) 964-945 pages) .

كلية القانون و العلوم السياسية

بنية الاقتصاد التركي الذي تحول خلال عقدين من الزمن الى أحد الاقتصادات العالمية الكبرى، فقد شهدت المؤسسة العسكرية التركية تطورات مهمة للغاية على ثلاثة مستويات هي:(٤)

المستوى الاول – مستوى الفاعلية والجاهزية العالية في الآداء وتحت مختلف الظروف ومختلف البيئات القتالية.

المستوى الثاني – مستوى المهام المناطة بها والتي لم تعد تقتصر على تنفيذ التزامات مفروضة على تركيا من قبل الناتو وانما الدفاع عن مصالح تركيا الجديدة وتعزيز ادوارها الاقليمية والدولية.

المستوى الثالث – مستوى التسليح النوعي الذي ترفده توجهات تركية حثيثة لتحقيق مستويات أعلى من الاكتفاء الذاتي في الصناعات العسكرية.

وفي الحقيقة فان التوجه التركي نحو تحقيق مستويات عالية من الاكتفاء الذاتي في هذا المضمار تحفزه مجموعة من الدوافع يمكن ايجازها على النحو الآتي»

اولا– المصلحة القومية. ينبع مصطلح المصلحة القومية أو الوطنية في العلاقات الدولية من الحاجات والرغبات التي تدركها دولة ذات سيادة لخدمة أمنها القومي في مستوياته المختلفة. وبمنطق الواقعيين فان العلاقات الدولية وسياسة الدول تقوم على أساس المصلحة ،وجوهر هذه المصلحة هو القوة، بمعنى القابلية على البقاء القومي وبذلك تعتبر جوهر السياسة.(٥)

ورغم قولنا بان المصطلح يشمل خدمة وحماية الأمن القومي للدول في ميادينه وصوره المختلفة لكننا وبالضرورة نتبنى منطلقاً واقعيا يركز بالدرجة الأساس على مركزية القوة بين عناصر الامن القومي الأخرى. واذا ما أخذنا بنظر الاعتبار مايقوله المفكر الأمريكي صامويل هنتنغتون من أن مفهوم المصلحة الوطنية يجب ان ينسجم مع طبيعة الدولة وهذه الاخيرة هي التي تحدد مصلحتها بحسب هويتها.(٦) فإن تركيا على عهد العدالة والتنمية اعادت قراءة مصالحها للامن القومي بشكل يكاد يبتعد كلياً عن نهجها التقليدي السابق ،فهي باتت متأكدة أن أروبا لن تقبلها في بيتها المشترك مهما فعلت وقدمت من تضحيات وكان دليلها في ذلك السرعة القياسية التي تم فيها قبول عضوية الدول التي انسلخت عن الاتحاد السوفيتي السابق وبلا شروط وببرامج اعادة هيكلة مستعجلة لم يتم التأكد حتى من نجاحها في مقابل كل هذا التسويف وهذه المماطلة في قبول تركيا في الاتحاد الاوربي.

وتركيا من جانب ثاني صارت متأكدة أيضا من أن الولايات المتحدة الأمريكية ستستمر في توظيف تركيا لخدمة أغراضها متعكزة في ذلك على عضويتها في حلف الناتو دون أي اعتبار لمصالح تركيا الحيوية او تلك التي لا يمكن التنازل عنها وكان

(٤) جلال سلمي ، تركيا والصناعات الدفاعية – الدوافع والمستقبل المنتظر. مقال متاح على الرابط الأليكتروني الآتي:
https://www.turkpress.co/node/10553

(5) Graham Evans, Jeffrey Newham : Dictionary of international relations, penguin books, England, 1998, PP344,345

(6) Samuel. Huntington, The erosion of American national interest, foreign affairs, sept- oct. 1997. Vol:76 p -5

دليلها في ذلك التحالف الأمريكي الكردي في سوريا وهو امر ترفضه تركيا تماما وتعده مساساً مباشرا وخطيرا بامنها القومي.

ومرة ثالثة تشعر تركيا بالمرارة والتهميش عنددما فضل الامريكان والغرب دعم الموقف اليوناني في مواجهة الاتراك في أزمة شرق المتوسط، وحظيت أثينا بموجب هذا الدعم على أنظمة تسليح امريكية متطورة مقابل عقوبات متزايدة تفرض على تركيا في هذا الميدان. ومن هنا تحديداً يبدو ان تفكير الرئيس التركي رجب طيب اردوغان وحزب العدالة والتنمية قد ذهبا الى أقصى الجانب الآخر في العلاقة مع امريكا والغرب انطلاقاً من مصلحة تركيا القومية اولاً وعلى قدم المساواة مع الآخرين ثانياً في أي علاقة تحالف قائمة او محتملة مستقبلاً، منطلقين في ذلك من أن تركيا لديها من المقومات ما يمكنها من تحقيق اهدافها ولا سيما البروز كقوة اقليمية تستحق أيضا التمتع بدور دولي اكبر. فتركيا تستطيع بحكم اهميتها الاستراتيجية ان تمارس دور اكثر استقلالا بالشكل الذي يضع المصالح القومية التركية في كفة الاولويات بغض النظر عن مصالح القوى الأخرى.(٧)

هكذا أعادت تركيا قراءة مصالحها في اطار عالم شديد التغيير والتنافسية لتستدير كلياً من الغرب الى الشرق ولتباشر مهمة تاريخية كبرى لاستعادة دور اللاعب الكبير في منطقة نفوذ تقليدية كان من الخطأ تجاهلها لعقود طويلة خصوصاً وان هذه المنطقة هي من ستعطي لتركيا الزخم المطلوب للمساومة على الدور والمكانة الدولية مستقبلاً مستفيدة في ذلك من خصوصية الجيوبولتيك التركي الذي ينتمي الى عوالم متعددة من البلقان الى اسيا الوسطى و القوقاز ومن الشمال الى العالم الاسلامي ومنطقة الشرق الاوسط بالإضافة الى طموحها في الانضمام الى الاتحاد الاوروبي . وهذا الجيوبولتيك ينطوي على أبعاد اكبر بكثير من حدوده الطبيعية ليقترب من وصف الحالة الجيواستراتيجية المتفردة، وبالاقتران مع سياسة تصفير المشاكل المنتخبة من قبل العدالة والتنمية فان تركيا وبالضرورة ستتحول الى نقطة جذب مركزية لكل القوى الكبرى في العالم.(٨)

ثانيا – الأخطار الجيوسياسية .ان إدراك تركيا لمصلحتها القومية لم يكن متأتياً عن دور المؤسسات القومية فيها فقط، ولا من شعورها بالاحباط من طريقة تعاطي حلفاءها الغربيين مع متطلبات أمنها القومي فحسب وانما من طبيعة وحجم الأخطار الجيوسياسية الكبيرة والمتنوعة التي تُحيط بها أيضاً، فجميع الفضاءات التي تنتمي اليها الجغرافية التركية تشهد تدافعاً مكشوفاً وعنيفاً في أكثر الأحيان من أجل تقاسم المقدرات الاقتصادية وتوفير توازن قوى ضد بعضها البعض الآخر.

هذا التدافع تتشارك فيه الدول والكيانات المسلحة من غير الدول على حد سواء وجميعها تعمل في مناطق التماس المباشر مع الجغرافية التركية أو على مقربة منها أو في محيط دوائر حركتها الجيواستراتيجية الطموحة . ويمكن هنا أن نذكرالطموح الايراني

(7) Alexander Murinson, "The Strategic Depth Doctrine of Turkish Foreign Policy,op.cit,p948.

(٨) صدام احمد سليمان , دور حزب العدالة والتنمية في التحولات الاستراتيجية للعلاقات العربية في الفترة ٢٠٠٢-٢٠١٠ , رسالة ماجستير , جامعة الشرق الاوسط , كلية الآداب و العلوم , ٢٠١١ , ص٣٩-٤٠ .

ذو التوجه المذهبي المختلف ومشروع ايران للقيادة الاقليمية عبر بوابة القوة العسكرية وامتلاك الأسلحة النووية والذي يتخذ من فكرة أم القرى أساساً دينياً له[٩]، واسرائيل (النووية)المتطلعة لنفس الدور عبر بوابة الريادة التكنولوجية ومشروعها للتطبيع مع المحيط العربي سياسياً واقتصادياً وفكرياً والذي يتخذ من فكرة الابراهيمية أساساً دينياً له، وروسيا بمشروعها الاوراسي الكبير الذي يدمج المعطيات الدينية (الأرثودوكسية) والقومية (السلافية) والجغرافية (الأوراسية) في بوتقة واحدة لاستعادة مجد القياصرة المندثر[١٠] وصولا الى القلق حتى من تزايد النفوذ السياسي والوجود العسكري لحف شمال الأطلسي في منطقة آسيا الوسطى الأمر الذي من شأنه أن يحد من نفوذ تركيا في البحر الاسود من ناحية ،وهو ما تخشاه تركيا بالرغم من كونها عضواً في حلف الناتو، ويفضي في نهاية المطاف الى اعادة تركيا الى دوامة علاقة التبعية لأمريكا والغرب من ناحية ثانية. واذا ما حصل ذلك فسوف يتعرض المشروع التركي لبناء الدور الاقليمي والدولي لضربة قاصمة بسبب خسارة النموذج التركي لجاذبيته القائمة على أساس النهج المستقل الى حد ما في السياسة الخارجية وطبيعة علاقات تركيا مع الحلفاء والأصدقاء على قاعدة الشراكة وليس التبعية.[١١]

إن هذه المخاطر الجيوسياسية بحاجةٍ ماسةٍ إلى قوة عسكرية قوية توفر توازن قوى صلب لدى الدولة الساعية لمواجهتها. وقد اعتمدت تركيا دومًا على الغرب، لا سيما حلف «الناتو»، في صد المخاطر الجيوساسية إلا أن الغرب تخلى عن تركيا في اللحظات الحاسمة التي كان يفترض فيها الحصول على الدعم المناسب مثلما حصل في مواجهة التمرد المسلح للأكراد في تركيا وفي مواجهة قوات سوريا الديمقراطية (قسد) وفي مواجهة قبرص من قبل عام ١٩٧٤ وفي مواجهة اليونان اليوم على خلفية التوتر في شرق المتوسط.

لقد عزز كل ماتقدم قناعة الأتراك بالأهمية القصوى لمطلب الاعتماد على الذات والقدرات المحلية لبناء القوة العسكرية وعبر بناء تحالفات ومنظومات علائق جديدة مع الصين وروسيا وايران وان تسبب ذلك في امتعاض الولايات المتحدة الامريكية واوربا من التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية لتركيا.

وبالفعل فقد جلبت هذه التوجهات سلسلة من العقوبات الاقتصادية على تركيا وحرمانها من مزايا الشراكة العسكرية والاستخبارية مع الناتو بل والتلويح بامكانية النظر في طرد تركيا من الحلف اذا استمرت في نهجها المتقاطع مع نهج حلفاءها الاطلسيين. وفي هذا الاتجاه يقول المؤرخ كونراد بلاك في مجلة ناشيونال ريفيو بأنَّ «الوقت قد حان للنظر في ما إذا كان ينبغي بقاء تركيا عضوًا في الناتو؛ فبسبب معارضتها للأسد تغاضت تركيا عن وصول الإمدادات إلى داعش وتمنعُ الولاياتَ المتحدة من استخدام

(٩) في مضامين نظرية أم القرى انظر .. محمد جواد لاريجاني، مقولات في الاستراتيجية الوطنية – شرح نظرية أم القرى الشيعية–، ترجمة وتحليل الدكتور نبيل علي العتوم، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، ٢٠١٣.

(١٠) لمعرفة المزيد عن فكرة الأوراسية الجديدة انظر.. الكسندر دوغين، أسس الجيوبولتيكا – مستقبل روسيا الجيوبولتيكي– ط١ ، ترجمة وتقديم الدكتور عماد حاتم، بيروت ،دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤.

(١١) احمد مشعان نجم , مكانة تركيا الدولية :دراسة في التوازنات الاقليمية والدولية , اطروحة دكتوراه غير منشورة , جامعة بغداد , كلية العلوم السياسية , ٢٠١٥ , ص٣٣٩.

القواعد التركية، فإذا كان طرد تركيا أو تعليق عضويتها في الناتو أو دعم معارضيها الأكراد يمكن أن يعيد أردوغان إلى رشده فيجب أن تؤخذ هذه الخطوات».[١٢]

ثالثاً – توازن القوى. يعد مفهوم توازن القوى واحداً من أقدم المفاهيم التي يمكن الركون اليها في تفسير العلاقات الدولية وأكثرها فعالية في التعرف على خصائصها، وقد أثبتت القرون الخمس الماضية مدى صحة ذلك، حيث لم يكن بامكان أي مفهوم آخر تأدية مثل هذه المهام بشكل أفضل من مفهوم توازن القوى.

وبشكل مركز فان المقصود بتوازن القوى هو توزيع متعادل نسبيا للقوى ينشأ نتيجة للصراع الدولي حول القوة والنفوذ وبصورة تتم رغم ارادة اطراف هذا التوازن، بدليل أن هذه الاطراف لاتستسلم لحالة التوازن وتستمر حتى في ظل حالة التوازن القائمة بالسعي للاخلال بهذا التوازن لمصلحتها، فالتوازن لايلغي الصراع والتنافس من أجل القوة ولكنه يفرض على اللعبة السياسية مجموعة من القواعد التي يجب الالتزام بها.[١٣].

ورغم الاتجاهات الحديثة في دراسة العلاقات الدولية التي تؤكد على نسبية أثر القوة العسكرية في اطار معادلة توازن القوى وترجيح كفة عناصر القوة الاخرى (الاقتصادية والتكنولوجية على سبيل المثال) الا أن الأتراك مثلهم مثل غيرهم لايزالون مقتنعين بالاتجاه التقليدي في تفسير مفهوم التوازن وربطه بشكل وثيق بتوازن القوة العسكرية على اساس ان توازن القوى تحدده القوة العسكرية التي بحوزة اطراف التوازن.[١٤]

وفي دلالة واضحة على هذا التوجه فقد اشتملت "رؤية ٢٠٢٣"،التي تم الكشف عنها منذ سنة ٢٠١٠ ، جملة من الأهداف التي من شأنها جعل البلاد قوة مستقلة لا يمكن تجاوزها بعد مئة سنة من تأسيس الجمهورية. وفي هذا الإطار يظهر قطاع الأسلحة كأحد رؤوس حربة هذا المشروع الطموح، إذ يتعين على القوات المسلحة التركية –رمز السيادة بامتياز– أن تتمتع بعتاد مصنوع بالكامل في تركيا.[١٥]

ومن هنا جاء الاهتمام بتطوير القدرات العسكرية بالنظر لأثرها المباشر على الأرض ونتائجها الآنية مقارنة بعناصر القوة الأخرى التي لايمكن نكران اهميتها ودورها على الامد البعيد في اطار لعبة التوازن الدولي من ناحية وفي توفير مستلزمات الاستمرار

(12) Semih Idiz, "No chance Turkey will be 'kicked out of NATO'," Al-Monitor, November 2014 11,

(١٣) د. ابراهيم أبو خزام، الحروب وتوازن القوى –دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقتها الجدلية بالحرب والسلم، ط٢، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحد،٢٠٠٩، ص ٥١. في تقييمه لنظرية توازن القوى يطلق ريتشارد ليتل على توازن القوى تسمية النبوءة ذاتية التحقق، وهذه النبوءة يمكن أن تتحقق عبر سبيلين الأول هو في التحالفات المضادة للهمينة أو السيطرة التي تحاول ان تفرضها قوة ما على النظام الدولي والثاني هو اعتياد الدول على المحافظة على أمنها الذاتي وتعزيز مصالحها من خلال تظافر الجهود فيما بينها، فاذا تحالفت مجموعة من الدول من أجل تعزيز مصالحها فان فرضية توازن القوى تقتضي ضمناً أن هناك مجموعة دول أخرى تراقب هذا التطور وتخشى أن تكون ضحية محتملة لهذا التحالف سوف تتحد لتشكل تحالفاً مضاداً. وفي هذه الحالة وبدلاً من تأسيس تحالف مضاد للهمينة سيكون هناك تحالفان يقيمان توازن للقوى.انظر « ريتشارد ليتل،توازن القوى في العلاقات الدولية– الاستعارات والأساطير والنماذج–،ترجمة هاني تابري، بيروت، دار الكتاب العربي، ص –ص ١٢– ١٣.

(١٤) جمال سند السويدي،آفاق العصر الأمريكي ،– السيادة والنفوذ في النظام العالمي الجديد، ط١، أبز ظبي، ٢٠١٤، ص ٢١٢.

(١٥) اميل بوفيه، تركيا – صناعة الأسلحة قوة هشة– ترجمة المقال عن الفرنسية ، حميد العربي، المقال متاح على الرابط الأليكتروني الآتي» **https://orientxxi.info/magazine/article5144**

في سباق القوة في شقها العسكري من ناحية ثانية.[١٦]

رابعا- استعادة المبادرة العسكرية. وهنا يكمن أحد أبرز دوافع بناء القوة العسكرية التركية حيث جربت تركيا في السابق الاعتماد على الولايات المتحدة الامريكية والغرب للحصول على ماتحتاجه من أسلحة ومعدات وذخائر وعرفت معنى ان تضع قرارها العسكري وخياراتها في المواجهة الداخلية والخارجية رهناً بمصالح وارادة موردي سلاحها.

لقد جربت تركيا فعلياً حالة الاختناق التسليحي اكثر من مرة خصوصا أيام الازمة القبرصية حينما فرضت الولايات المتحدة والدول الاوربية حضرا على صادرات السلاح الى تركيا طيلة المدة بين ١٩٧٥ – ١٩٧٨ وكذلك في الأعوام ٢٠١٠ و٢٠١٢، حينما اعترض الكونغرس الأمريكي على تصدير طائرات بدون طيار إلى تركيا بسبب التوترات التي كانت قائمة بين تل أبيب وأنقرة.

وفي كانون الثاني ٢٠١٨ انسحبت برلين من برنامج تحديث دبابات "ليوبارد ٢" الألمانية التي تستعملها تركيا بسبب عملية "غصن الزيتون" التي شنتها الأخيرة ضد محافظة عفرين الكردية السورية.

ومؤخرا وأمام تنامي النزعة الحربية لتركيا قررت عدة دول مثل كندا وألمانيا والمملكة المتحدة في ٢٠١٩ و٢٠٢٠ الامتناع عن تسليمها بعض المكونات الأساسية لتصنيع الطائرات بدون طيار، والتي هي رأس حربة تَدَخل أنقرة في المنطقة.

هذا الى جانب الضغوط الكبيرة التي مارستها الولايات المتحدة الامريكية وحلفاءها الاطلسيين عام ٢٠١٣ على شركة» CBMAEC « الصينية لافشال صفقة تركية لانشاء منظومة دفاع جوي متكامل بحجة عدم امكانية التوليف بين المنظومة الصينية ومنظومات الدفاع الجوي لحلف الناتو. اضافة الى استبعاد تركيا من مزايا الشراكة مع الناتو في انتاج طائرات **F 35** على خلفية شراءها لمنظومة الصواريخ الاعتراضية الروسية **S400** التي مضت تركيا قدماً في تنفيذها مع موسكو رغم تهديدات الناتو بالعقوبات المتنوعة التي من الممكن أن تواجهها تركيا مستقبلاً اذا ما استمرت في نهجها المستقل لبناء القوة.[١٧]

ان رهان الاستقلالية التركية في مجال بناءء القوة العسكرية صار له رمزية سياسية وقومية كبيرة عند الاتراك حكومة وشعباً، وتعبيراً عن هذه الرمزية فقد عمدت الحكومات التركية على جعل الصناعات العسكرية إحدى أولوياتها. ثم قررت رئاسة الجمهورية في تموز ٢٠١٨ وضعها تحت إشرافها المباشر من خلال إلغاء الوزارة المنتدبة للصناعات الدفاعية وإنشاء رئاسة الصناعات الدفاعية، ثم جاءت المصاهرة التي جمعت بين المهندس

(١٦) يرى هانز مورغنثاو أن أي محاولة لتقدير توازن القوى ستكون مبنية على التخمينات التي لايمكن التحقق من دقتها الا لاحقاً، ونظراً لأن اكتشاف سوء التقدير لايأتي دائما في الوقت المناسب فعلى رجال السياسة العمل من أجل زيادة قوة بلادهم الى أقصى قدر ممكن. نقلاً عن « ريتشارد ليتل ، مصدر سبق ذكره، ١١٨.

(١٧) لقد رد الأتراك بقوة على التسويف والمماطلة الامريكية بشأن تسليم أنقرة منظومة الصواريخ الاعتراضية من طراز باتريوت امريكية الصنع رغم أن تركيا كانت قد سددت دفعتين ماليتين من قيمة الصفقة الموقعة مع الولايات المتحدة الأمريكية التي قدمت اعذاراً للتأخير بحجج اعتبرتها تركيا واهية وغير مقبولة اطلاقاً. انظر .. آرون ستين، لماذا ادارت تركيا ظهرها للولايات المتحدة الامريكية واحتضنت روسيا بالمقابل، مجلة الشئون الخارجية، عدد تموز ٢٠١٩، ترجمة رفل أمين، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية ، العدد ٣ ، تموز، ٢٠١٩، ص ٣٧٣ – ٣٧٩.

سلجوق بيرقدار، المشرف الاول على نجاحات تركيا المذهلة في ميدان الطائرات المسيرة، والذي أصبح بطلاً قومياً في تركيا وبين الرئيس التركي رجب طيب أردوغان تعبيراً عن المكانة والرمزية التي تحتلها الصناعات العسكرية في ضمير الأمة التركية.(١٨)

خامساً – الاعتبارات القومية.

تختزن الذاكرة الجمعية للشعب التركي تصورات ذاتية عن خصوصية الجغرافية التركية ومركزيتها كنقطة وصل وجسر يربط العوالم المختلفة من نقطة ارتكاز يمثلها موقع تركيا في قلب جزيرة العالم وفقاً لتحديدات هالفورد ماكندر في نظريته الشهيرة المعروفة بقلب الأرض أو نظرية القوة البرية.(١٩)

ووفقاً لهذا التصورات تبدو تركيا هي الدولة المحور الواقعة على أكبر قطعة أرضية في العالم والمتكونة من أوروبا واسيا وإفريقيا أو جزيرة العالم بالمعنى الجيوبوليتيكي. تركيا هي المفتاح والقفل لهذا المحور، فلطالما لعبت جغرافية تركيا وبشكل فعّال دورها كمفتاح وقفل، لأنه ولفترة طويلة كانت فقط جزيرة العالم القطعة الأرضية الوحيدة على الكوكب، وجميع الحضارات والأديان الأساسية المشهورة تطورت حول نقطة تقاطع هذه القارات الثلاث بسبب موقعها الجغرافي.(٢٠)

ان تركيا بهذا الوصف كدولة مركز لايمكن الا للدولة القوية أن تعيش عليها وهي فقط القادرة على فهم الحتميات الجيوبولتيكية وتوظيفها سياسياً وفكرياً.(٢١)

هذه المقاربات الجيوبولتيكية ظلت مسيطرة على العقل الجمعي التركي بشكل عام وعلى التوجهات القائدة للمؤسسة العسكرية التركية على وجه الخصوص، وأسست لفكرة مركزية تبدو فيها تركيا على الدوام في مواجهة التهديد أو الخطر الخارجي الذي يخلق لدى الأتراك غريزة دفاعية تنزع الطابع السياسي عن عملية صنع السياسة الخارجية وتجعلها مجرد استجابة لتهديدات خارجية موجودة مسبقاً ومن ثم تقل حظوظ السياسيين في ادارة الدولة.(٢٢)

ومن الطبيعي وفي ظل مثل هذه التوجهات أن يصار الى تغليب فكرة الأمننة لكل جزئية في ادارة الدولة التركية الحديثة من ناحية والى منح الثقة للمؤسسة العسكرية التركية وجنرالاتها من ناحية ثانية باعتبارهما العقل المنفتح على هذه الافتراضات والمستوعب لخصوصيات الجيوبولتيكا التركية والحامي لها أيضاً. وقد لانبالغ في القول أن هاتين الركيزتين شكلتا قناعة مشتركة لدى النخب السياسية المختلفة منذ عهد مصطفى كمال

(١٨) اميل بوفيه، مصدر سبق ذكره.

(١٩) لمزيد من التفاصيل حول نظية قلب الأرض لهالفورد ماكندر انظر» د.سرمد أمين، المدخل في دراسة الجيوبولتكس، ط١، بغداد، مكتبة الغفران للخدمات الطباعية والنشر، ٢٠١٤.

(20) Pinar Bilgin, "Turkey's 'geopolitics dogma". In St efano Guzzini (ed), The Return of Geopolitics in Europe? Social Mechanisms and Foreign Policy Identity Crises (Cambridge: Cambridge University Press, 2012), P. 155

(٢١) لقد وردت هذه المقاربة بين الحتمية الجيوبولتيكية وبين الدولة التركية القوية في رواية «العاصفة المعدنية» الحرب الأمريكية التركية لمؤلفيها أوركون اوشار وبراق تورنا،ترجمة محمد مولود فاقي، دمشق، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع،٢٠٠٦،ص ٣٥٢.

(22) Pinar Bilgin,Op.cit,p,158.

اتاتورك حتى يومنا هذا، ولايشذ العدالة والتنمية عن هذا المذهب الا في حالة الربط بين توجهاته الاسلامية وبين الدواعي القومية ذات الطابع الجيوبولتيكي، ويمكن بسهولة استنتاج التماثل بين منطلقات الفريقين فيما يتعلق بالمجال الحيوي لتركيا، فجزيرة العالم والأوراسية التركية عند القوميين هي نفسها جيوبولتيكا العثمانية الجديدة عند الاسلاميين الأتراك.

غير أن هذه الطروحات والمتبنيات الفكرية المشتركة للأتراك وتصوراتهم الجمعية عن الدور القائد لتركيا في منطقتها والعالم كانت تصطدم على الدوام بمشاعرالاحباط والاهانة التي استشعرها الاتراك من الطريقة التي يتعامل بها الغرب والولايات المتحدة الأمريكية مع الشخصية التركية وحاجاتها القومية الأمر الذي خلق حالة من التمرد على الدور الوظيفي التقليدي لتركيا في اطار حلف الناتو من ناحية ونزوع شديد لتحقيق اعتماد كبير على الذات في مجال بناء القوات المسلحة وتأمين متطلباتها من ناحية ثانية.

لقد امتزجت مشاعر التذمر والاحباط التركي من مواقف وسياسات الناتو بالنزوع الشديد للأتراك في ظل طروحات حزب العدالة والتنمية للعودة الى الشخصية القومية التي يشكل الاسلام ركناً أساسياً فيها لتنتج موقفاً متمردا عبر عنه الكاتب الصحفي امر كوركماز في صحيفة يني شفق المقربة من الحكومة التركية بالقول»يجب أن يتساءل المرء ماذا أعطى الناتو لتركيا منذ عام ١٩٥٢؛ بالنسبة إلى تركيا فان الناتو يعني الانقلابات العسكرية وتحذيرات الجيش للحكومات والأزمات الاقتصادية والاستقطاب الاجتماعي والصراع الداخلي والاستفزازات وعدم الاستقرار والاستغلال والقهر والقتل خارج نطاق القانون والإرهاب المنظم».(٢٣)

وفي الحقيقة فان تركيا الجديدة بشخصيتها القومية المصطبغة بالهوية الاسلامية لاول مرة منذ تأسيسها الحديث ذكّرت الأتراك بمجد العثمانيين وسطوتهم وسلطانهم ،ولكي يكونوا جديرين بهذا الارث التاريخي فان عليهم الانعتاق من خانق الحاجة الى الولايات المتحدة واوربا عسكرياً، ومن هنا فقط تحققت القفزة النوعية في قدرة تركيا على تلبية متطلبات نمو قواتها المسلحة وتوسع أدوارها الخارجية.(٢٤)

لقد تفاعلت كل العوامل التي ذكرناها بخصوص دوافع بناء القوة العسكرية التركية مع بعضها لتشكل رافعة مثالية لتحقيق المهمة، التي كانت تعد شبه مستحيلة في الماضي، وهي ان تصبح تركيا مكتفية ذاتياً الى حد كبير جدا في مجال تجهيز وتسليح جيوشها وبمختلف الصنوف، بل والتحول الى دولة مصدرة للسلاح أيضاً وبقدرة تنافسية عالية مع الشركات العالمية المعروفة وكل ذلك في غضون عشر سنوات فقط.

---

(23) Metin Turcan, "Is NATO membership shackling Turkey?" Al-Monitor, October 29, 2014 المقال متاح على الرابط الأليكتروني الآتي **http://goo.gl/O7XLUo-**

(٢٤) لقد أبدع البروفيسور أحمد داود أوغلو في توصيف هذه المشاعر القومية بالقول» ان المكانة والدور الذي يجب ان تضطلع به تركيا على الساحة الاقليمية والدولية يفرض على الدولة وعلى المجتمع التركي اعادة تفسير التاريخ والجغرافيا وفق وعي ذاتي بالوجود وكذا بالاهمية التي منحها لها التاريخ والجغرافيا، لذا لاتتوقف الاستراتيجية عن البحث فقط عن السبل المثلى لتأمين الأمن القومي التركي ، وانما أيضاً عن كيفية توظيف تركيا لموروثها التاريخي والجغرافي في سياستها الخارجية لبلوغ المكلنة الاقليمية والدولية اللائقة بها».نقلاً عن اسامة الرشيطي، تركيا جدل القوة الناعمة والصلبة ، ص– ص ٣٤ – ٣٥.

المحور الثاني
الصناعات العسكرية التركية
وميادين التطور في صنوف القوات المسلحة التركية.

تبدو الكتابة في هذا المحور بالذات وعن التجربة التركية في مجال الصناعات العسكرية لها أهمية خاصة وتنطوي على جانب كبير من الحماسة خصوصاً عند الوطنيين الأتراك لأنها تعني الاستماع الى قصة مشوقة فعلاً يصفها الكاتب التركي محمد زاهد غول بانها « ملحمة شعب مسلم أحب الحرية والديمقراطية والدولة المستقلة ودافع عنها واستشهد من أجل مبادءه وقيمه وحضارته فاعطى درساً لكل اعداء تركيا في الداخل والخارج من أدعياء الديمقراطية ودعاة صدام الحضارات وأعداء الانسانية».[٢٥] أو كما يصفها موضوعياً (بعيداً عن الحماسة الوطنية) ايميل بوفيه وهو المتابع المتخصص والخبير الاستراتيجي في رئاسة الأركان الفرنسية بأنها « العجلة التي لم تتوقف عن الدوران خلال السنوات العشر الماضية في ميدان صناعة السلاح بكل أصنافه ومستوياته. [٢٦]

لقد مرت هذه الصناعة بمرحلتين أساسيتين

المرحلة الأولى التي تمثل نقطة الشروع في هذا المجال والتي ابتدات مع العام ١٩٧٤ مع ما أسلفنا ذكره بخصوص الموقف الحرج الذي تعرضت له تركيا بشكل عام وقواتها المسلحة بشكل خاص أيام الحظر الذي فرضته الولايات المتحدة الأمريكية واوربا على صادرات السلاح الغربية الى تركيا على خلفية الأزمة مع قبرص وكانت هذه الأزمة بمثابة جرس الأنذار الذي نبه انقرة الى اهمية تعزيز القدرات العسكرية ذاتياً.

المرحلة الثانية وهي الاهم والتي يمكن تسميتها بالانطلاقة الحقيقية للصناعات العسكرية التركية والتي تبدء مع العام ٢٠٠٢ ، تاريخ استلام حزب العدالة والتنمية لمقاليد الحكم في تركيا،ففي هذه المرحلة تحولت الأفكار والطروحات الى واقع ملموس والى انجازات كبيرة يمكن اجمالها في الآتي»

أولا – على مستوى القوات البرية. نجحت تركيا ومن خلال مجموعة من الشركات مثل FNSS و NUROL MAKINA وOtokar و BMC في انتاج سلسلة من أسلحة القتال البري كالمدرعات والمجنزرات ودبابات القتال خاصة من طراز ام بي تي وكابلان المتوسطة و ألتاي التي أكتسبت شهرة واسعة في السوق العالمية والتي ستخلف دبابة ليوبارد ٢ الألمانية التي تخدم في الجيش التركي والتي قامت مؤسسة الصناعات العسكرية التركية بتطويرها متفوقين بذلك على الالمان الذين رفضوا القيام بتحسينها عام ٢٠١٨. هذا بالاضافة الى اعلان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان في وقت سابق من عام ٢٠١٩ بأن تركيا لم تعد تعتمد على أحد في تأمين أي نوع من انواع الذخائر والمقذوفات التي تحتاجها لمختلف انواع أسلحتها حيث نجحت مؤسسة الصناعات

(٢٥) محمد زاهد غول، الانقلاب العسكري في تركيا بين الفشل السياسي والتدخل الخارجي،ط١، بيروت ، دار ابن حزم ، ٢٠١٧، ص ٣.

(٢٦) اميل بوفيه ، تركيا – صناعة السلاح– مصدر سبق ذكره.

الميكانيكية والكيميائية التركية MKEK في صناعة الذخائر والمقذوفات بجميع انواعها وأشكالها ومقاساتها وحشواتها المتفجرة ونجحت أيضاً في صناعة حتى الأسلحة التي تستخدم تلك الذخائر.[٢٧]

ثانياً – على مستوى القوات البحرية . تمكنت تركيا من تصميم وانتاج أنواع مختلفة من القطع البحرية وعلى النحو الآتي»

١. سفن الانزال من طراز بيرقدار وهي من اكبر السفن الحربية في تركيا ومزودة باجهزة متنوعة للاستشعار والانظمة المضادة للغواصات وانظمة تقنية لتحميل وانزال الدبابات البرمائية ومنصة لهبوط المروحيات القتالية واللوجستية ويمكنها البقاء لمدة ٣٠ يوم في الماء وبمسافة ابحار تزيد على ٥٠٠٠ ميل بحري دون الحاجة للتزود بالوقود وهي مشيدة لتوفر حماية كاملة لطواقمها من الهجمات الكيميائية والبيولوجية والنووية وتم ادخالها الى الخدمة الفعلية في البحرية التركية عام ٢٠١٧.
٢. سفن الهجوم البرمائية تي سي جي الاناضول التي تعمل كمقر قيادة متقدم ومزودة بأحدث اجهزة الاستشعار لرصد الهجمات الأليكترونية والدفاع الذاتي ومنصة لهبوط واقلاع الطائرات العمودية وهي محلية الصنع بنسبة ٦٧٪ ودخلت هي الاخرى الى الخدمة الفعلية عام ٢٠٢٢.
٣. سفن الانقاذ وسحب الغواصات التي صممتها وانتجتها شركة اسطنبول لبناء السفن والتجارة.
٤. سفن الدوريات السريعة والخفيفة الحركة المخصصة لمهام الدفاع والمراقبة الفعالة من انتاج نفس الشركة أعلاه..
٥. سفينة الأبحاث الزلزالية التركية اورش ريس ذات المهام المتعددة كالمسح البحري لأعماق البحار وقياس نسب التلوث البحري والأبحاث العلمية والبحث والتنقيب عن الموارد الاولية.[٢٨]

ثالثاً – على مستوى القوات الجوية. هنا حقاً يتجلى رمز نجاح الصناعة العسكرية التركية دون شك من خلال الاختراق الهائل الذي تحقق في مجال تصميم وانتاج الطائرات المسيرة والحربية من قبيل»

١. الطائرة المسيرة المسلحة "بيرقدار ت. ب.٢"، والطائرة بدون طيار للمراقبة "آقنجي"، لقد سمحت تلك الطائرات لتركيا وحلفاءها بحسم معاركهم باوقات قياسية وبأقل مايمكن من الخسائر البشرية والمادية في ناغورني كاراباخ وسوريا

(٢٧) حسن الشاغل، كيف تغيرت تركيا خلال خمس سنوات – تطور الصناعات العسكرية التركية في الفترة بين ٢٠١٤–٢٠٢٠ ،مركز الاناضول لدراسات الشرق الأدنى ، ٢٠٢١، ص ٢٠ .

(٢٨) نفس المصدر، ص– ص ١٨ –١٩... ويمكن القول أن تركيا باتت اليوم أحدى الدول التي تصمم وتصنع سفنها بنفسها بل وصدرت حتى العام ٢٠٢١ اكثر من ١٣٠ قطعة بحرية الى ٩ دول مختلفة ، نقلاً عن اسامة الرشيدي، تركيا جدل القوة الصلبة والناعمة، مصدر سبق ذكره، ص ٨.

وليبيا. لقد تحولت تركيا فعلياً الى منافس قوي جدا في سوق الطائرات المسيرة حتى عند دول الاطلسي متجاوزة نظيراتها الأمريكية بسبب فارق السعر الكبير بين الجيلين، اذ يبلغ سعر الطائرة القتالية الامريكية المسيرة نوع بريديتور ٢ (٢٥) مليون دولار مقابل(٥) ملايين دولار للتركية بيرقدار.[٢٩] ونظراً للسمعة الكبيرة التي حظيت بها البيرقدار فقد أقرت رئاسة مؤسسة الصناعات العسكرية تخصيص مبالغ اكبر للاستثمار في تطويرها وهي تقوم حاليا بتطوير نموذج بحري متخصص في الحرب المضادة للغواصات، وأربعة أنواع مختلفة من الطائرات الأرضية المسلحة، إلى جانب أجهزة يمكن نشرها انطلاقا من قاعدة جوية أو سفينة برمائية.[٣٠]

٢. وفي جعبة الصناعات العسكرية التركية أجيال اخرى من الطائرات المسيرة انتجتها شركة صناعة الطيران التركية TAI مثل طائرة AKSUNGUR UVA التي أصبحت أول طائرة تركية مسيرة قادرة على حمل ذخيرة متفجرة تزن أكثر من ربع طن وبرأس حربي يبلغ وزنه ٨٩ كلغم يتم توجيهه ليزرياً .

٣. طائرة ANKA التي يتم التحكم بها عبر الاقمار الصناعية ومجهزة للعمل في مختلف الظروف التشغيلية وقادرة على نقل المعلومات والبيانات المشفرة في اعقد نظم الاتصالات ومجهزة للهبوط في قواعد الطوارئ في حال فقدان الاتصال وأعطت زخماً قوياً لنظم الاستخبارات لقابليتها العالية على التتبع والرصد ووضع العلامات باستخدام جيل جديد من الكاميرات الكهروضوئية التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء. واجرت تركيا أيضا العام الماضي ٢٠٢١ تجارب ناجحة للطائرات الانتحارية المسيرة من طراز الباغو وتجارب مماثلة لطائرات بويغا المسيرة .[٣١]

٤. في العام ٢٠٢٠ انتجت شركة صناعة الطيران نفسها اول محرك للطائرات المروحية من طراز TEI-TSI ٤٠٠ اضافة الى اول محرك توربو ديزل للطيران من طراز TEI-PD١٧٠ المستخدم في الطائرات المقاتلة، ثم الخطوة الأخرى الكبيرة التي تمثلت بانتاج اول طائرة دورية بحرية من طراز P ٧٢ في مشروع MELTEM وتسليمها فعلياً الى قيادة القوات البحرية.[٣٢]

---

(٢٩) اميل بوفيه ، مصدر سبق ذكره.

(٣٠) البيرقدار طائرة مسيرة مصنعة كلياً في تركيا من قبل شركة بايكار وهي قادرة على القيام بمهام الاستطلاع والمراقبة والاستخبارات والهجمات القتالية وهي تحمل الرقم القياسي في عدد ساعات الطيران (٢٧) ساعة متواصلة من دون التزود بالوقود وقادرة على الطيران بارتفاع يصل الى أكثر من ٢٧٠٠٠ قدم ويوجد منها حالياً في الخدمة الغعلية أكثر من ٩٠ طائرة، واكدت رئاسة الصناعات الدفاعية ان هناك عمل جدي عام ٢٠٢١ على تطوير بيرقدار تب ٢ وبيرقدار تي بي ٣ . انظر .. حسن الشاغل، مصدر سبق ذكره، ص ١٥.

(٣١) كوكسل يلدرم، تركيا ٢٠٢١ الصناعات الدفاعية تعزز قوى الأمن بالتكنولوجيا، التقرير متاح على الرابط الأليكتروني الآتي» https://www.aa.com.tr/ar/%

(٣٢) حسن الشاغل ،مصدر سبق ذكره، ص ١٧.

رابعاً- في مجال الصواريخ والحرب الاليكترونية. تقف شركة Roketsan في قمة المنتجين في هذا المجال حيث تم تطوير صواريخ الدفاع الجوي منخفضة الارتفاع من طراز ٣ Hasar المضادة للهجمات الجوية سواء بالطائرات المقاتلة او المروحية أو الصواريخ الجوالة لتأمين طيف واسع من الأمان للقواعد العسكرية والمرافق الحيوية والموانئ من الهجمات الجوية، ثم تحولت المنظومة المذكورة مع العام ٢٠٢١ وبجهود تركية ذاتية الى منظومة دفاع جوي متوسطة الارتفاع من طراز Hasar ٥. ووصلت الى مرحلة الانتاج التسلسلي، فضلاً عن اجراء اختبارات متعددة على منظومة الدفاع الجوي طويل المدى من طراز سيبر في نفس العام. وأجريت أيضاً اختبارات الإطلاق على الأهداف المتحركة لكل من منظومة الدفاع الجوي المتنقلة «سونغور» وصاروخ «أتماجا» المضاد للسفن الذي أصبح جاهزاً للتسليم، اضافة الى نجاح أول عملية إطلاق من مقاتلة لصاروخ بوزدوغان «جو-جو».[٣٣]

ويمكن للجدول الآتي أن يوضح حقيقة التطور في الصناعات العسكرية التركية خلال العقد الماضي.

جدول رقم ١

	الصناعات العسكرية التركية قبل عام ٢٠١٥	الصناعات العسكرية التركية بعد عام ٢٠١٥
عدد الشركات التركية ضمن قائمة أفضل مئة شركة للصناعات الدفاعية عالمياً	شركة واحدة فقط	٧ شركات
قيمة صفقات صادرات الأسلحة التركية الى الخارج	١,٩٢٩ مليون دولار	٣,٠٩٨ مليون دولار
نسبة اعتماد الجيش التركي على الصناعات العسكرية المحلية	٣٠٪ من تسليح الجيش التركي	٧٠٪ من تسليح الجيش التركي
التطور في الصناعات البحرية العسكرية	الصناعات العسكرية البحرية لم تكن مافية لتلبية الاحتياجات المحلية	أصبحت تركيا مصدراً لعدد من السفن والمعدات الحربية البحرية ولكثير من دول العالم
التطور في صناعات الطائرات المسيرة	كانت في مراحلها الابتدائية	أصبحت اجيال الطائرات المسيرة التركية الأكثر مبيعاً في السوق العالمية
حجم الانفاق على الصناعات العسكرية	٤,٩ مليار دولار	١٠ مليار دولار
استخدام الأسلحة المحلية في عمليات عسكرية في الخارج	لايوجد	تم استخدامها وبفاعلية في ساحات مواجهة في العراق وسوريا وليبيا وأذربيجان
عدد مشاريع الصناعات الدفاعية	٦٢	٧٠٠

الجدول من اعداد الباحث بالاستناد الى المصادر الآتية»حسن الشاغل، مصدر سبق ذكره، ص –ص ٢٣ -٢٤. اسامة الرشيدي، مصدر سبق ذكره ص ٨.

(٣٣) كوكسل يلدرم، المصدر السابق.

خامساً– وانتجت ذات الشركة صواريخ قصيرة المدى (٧٠ كلم) من طراز TRG – ٢٣٠ عيار ٢٣٠ ملم يتم توجيهه عبر نظام الملاحة GPS / INS وبتم اطلاقه من نظام Tiger multi barrel launcher MBRL الذي تنتجه الشركة نفسها .

وكانت الشركة قد أعلنت في حزيران عام ٢٠١٩ أنها طورت صواريخ من طراز TRLGعيار ٢٣٠ ملم وهو صاروخ ذكي قادر على تمييز الطائرات المسيرة واصابة الاهداف المتحركة على الأرض. وكان الانجاز الكبير قد تمثل في قيام الشركة بانتاج صواريخ ناقلة لأول مسبار تركي عابر لحدود الفضاء، في حين نجحت شركة تركية اخرى هي Aselsan في انتاج نظام Karkulak للتنصت على الترددات الاليكترونية وتم ادخاله فعلياً للخدمة في القوات المسلحة التركية.(٣٤)

ان الأمثلة التي ذكرناها تعكس ليس فقط حجم التطور في القدرات الذاتية لتركيا على توفير متطلباتها الدفاعية فحسب وانما تحقيق تطور مماثل في جوانب متعددة منها»

أولاً – زيادة كبيرة جدا في مستويات الانفاق على الصناعات العسكرية بشكل خاص وفي نفقات الدفاع بشكل عام. فقد بلغت ميزانية الدفاع التركية لعام ٢٠٢١ وفقاً لتقرير مؤسسة Global fire power أكثر من ١٧ مليار دولار أمريكي في حين ارتفعت حصة الانفاق على الصناعات العسكرية لنفس العام الى أكثر من ١٠ مليار دولار أمريكي.(٣٥)

ثانياً– ارتفاع نصيب الصادرات العسكرية التركية في السوق العالمية الى مستويات قياسية منحت تركيا المرتبة الثالثة عشر عالمياً بين الدول المصدرة للسلاح وفي بعض المفاصل الانتاجية وصلت الى المرتبة الرابعة عالمياً كما هو الحال مع الطائرات المسيرة بيرقدار على سبيل المثال، حيث بلغت الأرباح الصافية لهذا القطاع أكثر من ١٠ مليار دولار سنوياً في حين وصل عدد الدول التي تشتري منتجات الصناعة العسكرية التركية (التي بلغت حدود ١٢٠ منتج) الى ١٧٠ دولة حول العالم .(٣٦)

ثالثاً– الاسهام الكبير لهذه الصناعات في رفع مستوى الجاهزية القتالية للجيش التركي ومرونته التسليحية وارتفاع ترتيب القوات المسلحة التركية عالمياً واقليمياً ليصبح، فضلاً عن كونه القوة العسكرية الثانية في حلف الناتو، والتي يساوي حجمها حاصل جمع القوى العسكرية الثلاث لكل من جيوش أسبانيا(١٤٩,١٥٠) وفرنسا (٢٥٤,٨٩٥) و إيطاليا (١٨٦,٠٤٩)، وتساوي قوتها ربع كل القوى المشتركة في حلف شمال الأطلسي عدا الولايات المتحدة الأمريكية، ليصبح القوة العسكرية التي تحتل المرتبة الحادية عشر عالمياً في سلم القوى العسكرية العالمية .(٣٧) كما يشير الى ذلك الجدول رقم (٢) والقوة العسكرية الأولى في الشرق الأوسط كما يبين ذلك الجدول رقم (٣)

(٣٤) نفس المصدر السابق.

(٣٥) نص التقرير متاح على الرابط الأليكتروني الآتي: **https://www.globalfirepower.com/**

(٣٦) لقد فصل رئيس هيئة الصناعات العسكرية التركية اسماعيل ديمير ،في اجتماع له لتقييم ماتم انجازه من الخطط الموضوعة لعام ٢٠٢١ وتقييم مسار العمل لعام ٢٠٢٢ في ميدان الصناعات العسكرية ،في جوانب أساسية مما تم التخطيط له وانجازه خلال العام الماضي والمستويات التي بلغتها هذه الصناعات وقدم بيانات واضحة عن حجم التمويل والعائدات والمكانة التي تحتلها عالمياً وخطط مؤسسته للمستقبل. نص الاجتماع منشور على الرابط الأليكتروني الآتي:
https://mar7aba.com.tr/%d%8a%7d9

(٣٧) أمين حطيط، تسلسل القوى العسكرية في العالم، المجلة العربية للعلوم السياسية. العدد٢٠، خريف٢٠٠٨، صفحة ١٧٥. وينظر كذلك تصنيف موقع غلوبال فاير بور لأقوى الجيوش في العالم وترتيبها. ويعتمد تصنيف الموقع العسكري "غلوبال فاير باور" لأقوى جيوش العالم خلال العام ٢٠٢١، على عدد من العوامل بينها قوة وكفاءة القوة العسكرية، إضافة= =إلى نجاح المهمات، وتنوع الأسلحة.واستند تصنيف "غلوبال فاير باور" في تحديد أقوى جيوش العالم على أكثر من ٥٠ عاملاً لتحديد درجة ما يسمى الـ"باور إندكس" لكل دولة.ولا يتم تحديد "الباور إندكس" على العدد الإجمالي لأفراد الجيش والأسلحة الموجودة لدى الدول، بل يركز على تنوع الأسلحة وتطور التكنولوجيا المستخدمة.

جدول رقم (٢)

ترتيب أقوى جيوش العالم 2021
الصادر عن موقع "غلوبال فاير باور"
United States 0.072
Russia 0.080
China 0.086
India 0.121
Japan 0.144
South Korea 0.162
France 0.169
UK 0.201
Brazil 0.204
Pakistan 0.208
Turkey 0.212
Italy 0.214
Egypt 0.221
Iran 0.252
Germany 0.253
tarek4tech.com
يأخذ في الاعتبار (من بين أمور أخرى): أرقام الأسلحة ، تنوع
الأسلحة ، الموارد الطبيعية ، الصناعات المتاحة ، القوى العاملة ،
الاستقرار المالي المصدر: Global Firepower

جدول رقم (٣) يبين تسلسل القوى العسكرية في الشرق الأوسط

رابعاً – أن القطاع الدفاعي أصبح من القطاعات التي تقدم أكبر مساهمة في اقتصاد الدولة من خلال أكثر من ١٦٠٠ شركة و٨٠ ألف موظف.(٣٨)

خامساً– الدور الحاسم الذي أدته هذه المؤسسة الصناعية في توفير متطلبات العمليات العسكرية التي نفذتها القوات المسلحة التركية خارج الأراضي التركية وفي ساحات قتال وعمليات معقدة كما هو الحال في سوريا وليبيا والعراق وكذلك في ما وفرته الطائرات المسيرة والصواريخ الجوالة التركية الصنع من امكانية عالية للقوات المسلحة التركية في دعم القوات الأذربيجانية في حربها مع أرمينيا حول اقليم ناغورنو كاراباخ وأخيراً الدور المميز والفاعل للطائرات المسيرة التركية في تعزيز قدرات الجيش الأوكراني في مواجهة التفوق الساحق للقوات الروسية ميدانيا في الحرب التي تدور بين البلدين منذ شهر شباط ٢٠٢٢ حتى يومنا هذا.

سادساً – الأثر الذي تركه التطور السريع للصناعات العسكرية التركية في الواقع السياسي التركي على مستويين هما»

(٣٨) تقييم رئيس هيئة الصناعات الدفاعية التركية، المصدر السابق. تجدر الاشارة الى ان الاقتصاد التركي حقق خلال الربع الأول من العام الجاري ٢٠٢٢، نموا بنسبة ٧,٣ بالمئة، وفق معطيات نشرتها هيئة الإحصاء التركية، الثلاثاء.وأوضحت المعطيات أن تقدير إجمالي الناتج المحلي خلال الأشهر الثلاثة الأولى من ٢٠٢٢، زاد ٧,٣ بالمئة مقارنة بالفترة نفسها من العام الماضي.وأشارت إلى ارتفاع تقدير الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية ٧٩,٥ بالمئة في الربع الأول من العام، مقارنة بالفترة نفسها من ٢٠٢١، وبلغ تريليونين و٤٩٦ مليارا و٣٢٨ مليون ليرة تركية (الدولار يعادل ١٦,٤٠ ليرة). وأضافت المعطيات أن قيمة الناتج المحلي الإجمالي للربع الأول بالأسعار الجارية، بلغت ١٧٩ مليارا و٨٠٠ مليون دولار. وسبق أن توقع خبراء اقتصاديون شاركوا في استطلاع للأناضول، أن يبلغ نمو الاقتصاد التركي خلال الربع الأول من العام الجاري، ٧,٢ بالمئة. للمزيد حول تطور مؤشرات النمو في الاقتصاد التركي انظر بيانات هيئة الاحصاء التركية على الرابط الأليكتروني الآتي. **https://www.aa.com.tr/ar/2601820/-2022-86**

المستوى الداخلي حيث أشر هذا التطور صواب نهج حكومات حزب العدالة والتنمية وأكسبها ثقة الشعب التركي الذي عبر عن ثقته بالتجديد لهذه الحكومات لعقدين مضت ولايزال من الممكن أن يحتكر الحزب هذه الثقة لسنوات قادمة أخرى.

المستوى الخارجي. من المعروف أن واحدة من اهم اهداف الدول على الصعيد الخارجي هو تحصيل الهيبة والاعتراف بالمكانة والدور ومن ثم المطالبة بتغيير قواعد العمل والتوازن على المستويين الأقليمي والدولي. وهذا هو بالضبط ما حصل مع الاتراك، فالسمعة الكبيرة التي حققتها صناعاتهم العسكرية ونجاح الأدوار الخارجية للذراع العسكرية التركية جعلتهم أكثر ثقة بالنفس وهم يتوجهون نحو تعديل مسارات سياستهم الخارجية ونمط تحالفاتهم ووظائفهم في اطار هذه التحالفات وصولاً الى تبني أهداف جديدة مرتبطة بالمصالح المتنامية لتركيا على كافة المستويات.[٣٩] فضلًا عن ذلك أصبحت لتركيا كلمتها في التفاعلات الامنية والعسكرية على الصعيد الخارجي ووفقاً لما تمليه عليه مصالحها الذاتية بالدرجة الاولى وهذا ماسنفصل فيه لاحقاً.

(٣٩) أحمد نوري النعيمي، السياسة الخارجية – دراسة نظرية–، بغداد ،١٩٩٠، ص ٨٢... وقد اكد رائد المدرسة الواقعية هانز مورغنثاو على ان اكتساب القوة او الحصول عليها قد يمثل هدفاً مرغوباً فيه او قيمة مطلوبة بحد ذاتها، انظر في هذا التوصيف لمفهوم القوة

Hans Morgenthau, Power politics, The University of Chicago Press, (1946), p 81

المحور الثالث
العلاقات الدفاعية لتركيا مع الخارج.

من المعروف ان تطور الصناعات العسكرية في بلد ما ونجاح هذه الدولة في اختراق السوق العالمية لتجارة السلاح يعطيها مزايا كثيرة، ذلك ان المشتريات من هذه السوق لاتعني مجرد نقل قطع سلاح او اعتدة وتجهيزات عسكرية الى دولة أو دول اخرى فحسب وانما هي منظومة متكاملة تشمل اضافة الى ماذكرناه نقل الخبرات والتدريب وأعمال التطوير والصيانة وقطع الغيار اضافة الى الفكر العسكري الذي يوظف هذه المنظومات التسليحية في الميدان ودمجها في الاستراتيجية العسكرية لمستخدميها، الى جانب المزايا الاقتصادية والسياسية المترتبة على الارتباط الذي ينشأ بين المجهز والمستفيد من هذه العقود التسليحية. وبالفعل نجحت تركيا في تحقيق كل ماذكر في أعلاه عندما أصبح لمنتجاتها العسكرية سمعة طيبة دفعت كما أشرنا في الجدول رقم (١) أكثر من ١٧٢ دولة الى شراءها ودمجها في بنية منظوماتها التسليحية فأصبح لدى الاتراك سوق واسعة وزبائن متعددين الأمر الذي رتب لهم مصالح في تلك البلدان وهذه المصالح رتبت لهم هي الأخرى استحقاقات جديدة تمثلت في عقد العديد من الاتفاقات العسكرية المختلفة بما فيها اقامة القواعد العسكرية وحقوق المرور والاستخدام للمرافق والتسهيلات العسكرية للدول الأخرى والشراكات العسكرية واقامة المناورات المشتركة وغيرها.

ويمكن لنا ان نستعرض أهم ماحصلت عليه تركيا من قواعد عسكرية في الخارج على النحو الآتي»

أولاً – في دولة قطر. لعل أبرز ما تحقق لتركيا بعد عام ٢٠١٥ تحديداً هو توقيعها لأشهر اتفاقياتها العسكرية مع دولة قطر[٤٠] وبموجب هذه الاتفاقيات حصلت تركيا على أول قواعدها العسكرية في الخارج.وتبين المادة ١٧ من الاتفاقية أن» لها إلزام حقوقي على الطرفين بعد قبولها من قبل الحكومات القومية لكلا الدولتين، هذا الإلزام الحقوقي يبدأ بعد الإعلان الرسمي عن الاتفاقية» وبما أنه تم الإعلان عن الاتفاقية في تاريخ ٨ حزيران فهذا يعني أن إلزامها القانوني على الدولتين قد بدأ.وحسب المادة الثامنة عشر فإن «الاتفاقية ستستمر لمدة عشر أعوام، وبعد انتهاء هذه المدة في حال لم يكن هناك اعتراض على الاتفاقية من الطرفين فإن الاتفاقية ستستمر لمدة عام بشكل تلقائي». أما المادة الخامسة عشر المتعلقة بحل الخلافات بين الدولتين فتنص على أنه «في حال

(٤٠) نصت الاتفاقية العسكرية الموقعة بين تركيا وقطر على مايلي» نشر قوات عسكرية تركية في قطر.
. إجراء برامج تدريبية وتعليمية مشتركة بين الطرفين.
. إعطاء تركيا الحق في الاستفادة من الساحة الجوية لقطر.
. التعاون العسكري المشترك بين الدولتين في قضية مكافحة الإرهاب والصناعات الدفاعية واللوجستية وإجراء المناورات العسكرية المشتركة بشكل دوري.
. نشر وحدات برية وبحرية وجوية تركية في قطر.
. العمل الاستخبارتي والعسكري المشترك». نص الاتفاقية منشور على الرابط الأليكتروني الآتي»
https://www.turkpress.co/node/11308

طفا أي خلاف على السطح بين الطرفين فإن هذا الخلاف يُحل عن طريق الاستشارة والمفاوضات الاستراتيجية، ولا يتم رفع هذا الخلاف لأي محكمة محلية أو إقليمية أو دولية». وبخصوص حل الخلاف بين الطرفين دون الذهاب إلى المحاكم الدولية فهو أمر مشروع ولا توجد أي قاعدة في القانون الدولي تبين ضرورة تقديم طلب للمحكمة الدولية في حال كان هناك خلاف فيما بينهما، بل يترك أمر تقديم طلب المحاكمة إلى الدول الأطراف في الخلاف.(٤١)وقد أنفقت تركيا ٣٩ مليون دولار على القاعدة التي تم افتتاحها عام ٢٠١٦ وهي قادرة على استقبال ٣ آلاف جندي إضافة إلى قوات بحرية وجوية وقوات كوماندوس. ومع تدشين القاعدة الجديدة سيكون بمقدور تركيا نشر مزيد من الجنود والعتاد والأسلحة في قطر. وقال وزير الدفاع التركي عام ٢٠١٨ إن القاعدة التركية في قطر ستلعب دوراً في الحفاظ على الاستقرار في منطقة الخليج وغيرها من المناطق.وفي ظل تطور الخلاف الخليجي بين قطر والسعودية والامارات سعت الحكومة القطرية الى توسيع نطاق التعاون الدفاعي مع تركيا فتم الاتفاق في شهر آب عام ٢٠١٧ على اقامة قاعدة عسكرية تركيا ثانية في قطر تحمل اسم القائد العربي الشهير طارق بن زياد وزيادة عدد الجنود الاتراك العاملين في قطر الى ٥٠٠٠ آلاف جندي والاتفاق على شراكات جديدة في مجال المعلومات الاستخبارية والصناعات الدفاعية.(٤٢)

ثانياً – القاعدة العسكرية التركية في الصومال (تركسوم). بعد عام ونصف من افتتاح قاعدتها في قطر أقامت تركيا في الصومال قاعدة عسكرية كبيرة في العاصمة مقديشو لتدريب الجنود الصوماليين. وبلغت نفقات إقامة القاعدة حوالي ٥٠ مليون دولار حسب بعض المصادر ويمكنها أن تأوي حوالي ١٥٠٠ جندي وتقديم التدريب لهم في وقت واحد لمساعدة الحكومة الصومالية في التصدي لجماعة الشباب الاسلامية المتطرفة.(٤٣)

وتبلغ مساحة القاعدة أربعة كيلومترات مربعة وهي قادرة على استقبال قطع بحرية وطائرات عسكرية إلى جانب قوات كوماندوس ، وتعد هذه اولى القواعد التركية على البحر الأحمر وخليج عدن وبالقرب من باب المندب.(٤٤)

ثالثاً– القاعدة العسكرية التركية في جيبوتي. لم ينته عام ٢٠١٧ إلا وكانت تركيا قد توصلت إلى اتفاق على إنشاء قاعدة عسكرية في جيبوتي، هي ثانية قواعدها العسكرية في منطقة البحر الأحمر وخليج عدن، وجرى الاتفاق بين البلدين في ديسمبر/ كانون الأول من العام نفسه متضمنا اتفاقيات اقتصادية عدة، حيث تنظر تركيا لجيبوتي

(٤١) نفس المصدر السابق.
(٤٢) أحمد يحي ، قاعدة عسكرية تركية جديدة في قطر – لماذا أرقت الرياض وأبو ظبي، نص المقال متاح على الرابط الأليكتروني الآتي» https://www.alestiklal.net/ar/view/2131/dep-news1566155065-
(٤٣) زاهر البيك،بعد تمديد مهامها في البحر الأحمر تعرف على القوات التركية الخشنة والناعمة، تقرير متاح على الرابط الأليكتروني الآتي» https://www.aljazeera.net/news/politics/2/2/2021/%D8
(٤٤) آدم آلتن، القواعد العسكرية التركية في الخارج ومهامها، تقرير متاح على الرابط الأليكتروني الآتي»
https://www.bbc.com/arabic/middleeast49376606-

باعتبارها مركزا أفريقيا مهما لموقعها الإستراتيجي على البحر الأحمر.[٤٥]

وكانت تركيا قد بذلت جهدا كبيراً للحصول على موطئ قدم أضافي في منطقة القرن الأفريقي وعلى سواحل البحر الأحمر عندما سعت الى انشاء قاعدة عسكرية في منطقة سواكن السودانية غير أن الاطاحة بنظام حكم الفريق أول عمر حسن أحمد البشير في الخرطوم قد عطل هذا المسعى.

وعلى مايبدو فان تركيا تستغل ظروف اقليمية ودولية مواتية بالنسبة لها لخلافة الولايات المتحدة الامريكية في الخليج العربي. ومن بين هذه الظروف توتر علاقاتها مع أبرز حلفاءها في الاقليم كالمملكة العربية السعودية من ناحية وبحث الحلفاء الخليجيين الآخرين عن ضمانات أمنية جديدة او اضافية في مواجهة التهديدات الايرانية المتزايدة للمنطقة من ناحية ثانية وتركيز الولايات المتحدة الامريكية على استراتيجيتها الجديدة في عهد ادارة الرئيس جوزيف بايدن على الاحتواء المزدوج لكل من روسيا والصين بدلاً من ارهاق نفسها وتشتيت قواها في منطاق دائمة التأزم كالشرق الاوسط والخليج العربي من ناحية ثالثة.

ويبدو أيضاً ان القواعد التركية على ضفاف الخليج العربي وسواحل عدن وباب المندب قد مكنت تركيا من تأدية دور القيادة لستة مرات في اطار قوة المهام المشتركة CTF – ١٥١ التي تأسست في ١٥ شباط ٢٠٠٩ المخصصة لمحاربة القرصنة في خليج عدن والبحر الأحمر.

رابعاً – القواعد التركية في العراق وسوريا. اما بخصوص قواعد تركيا في سوريا والعراق فان لها دور وظيفي محدد وهو مرتبط فقط بمنع أكراد سوريا من تحقيق أي نوع من الاستقلال أو الحكم الذاتي وهذا موقف الدولة التركية منذ ولادة الجمهورية التركية على يد مصطفى كمال أتاتورك قبل نحو قرن.كما تهدف هذه القواعد إلى التصدي لنشاط عناصر حزب العمال الكردستاني سواء في العراق أو في سوريا ونقل الحرب إلى هناك بدلاً من مواجهتهم داخل تركيا.ويمكن لهذه القواعد أن تقوم بوظيفة ردع القوى والأحزاب الكردية في سوريا والعراق عن التفكير في الانفصال عنهما، وهو ما تجلي خلال الاستفتاء الذي جرى في إقليم كردستان العراق عام ٢٠١٧، إذ سارعت أنقرة إلى التعاون مع بغداد وفرضت حصاراً برياً وجوياً على الإقليم.[٤٦]

خامساً– الوجود العسكري التركي التقليدي في جمهورية شمال قبرص التركية (غير المعترف بها دولياً) حيث تحتفظ تركيا بحوالي ٣٠ ألف جندي هناك. كما تقوم القطع البحرية التركية الحربية بمرافقة سفن التنقيب التركية عن الغاز والنفط التي تنشط في المياه الاقليمية لقبرص رغم معارضة المجتمع الدولي والاتحاد الأوروبي باعتبار أن هذه الإجراءات ستبدد الآمال في التوصل إلى حل سياسي لأزمة قبرص وتوحيد الجزيرة

(٤٥) زاهر البك، مصدر سبق ذكره.

(46) ichael M. Gunter, "The KDP-PUK Conflict in Northern Iraq", Middle East Journal, Volume: 50, Number: 1996) ,2), P. 24-224 -

المقسمة.وقالت وسائل إعلام مقربة من الحكومة التركية إن أنقرة تنوي بناء قاعدة بحرية في الجزء الذي تسيطر عليه من الجزيرة.كما تشعر تركيا بالقلق من التنسيق المتزايد بين قبرص واليونان ومصر والذي يشمل مجال الطاقة وقد انضمت اسرائيل مؤخرا إلى هذا التعاون عندما اتفقت مع مصر حول نقل الغاز إلى القارة الأوروبية. وفي حال عثور تركيا على كميات تجارية من النفط أو الغاز في الحيز البحري الذي تنقب فيه فإن ذلك سيضع تركيا في موقف أقوى ويرجح أن تصبح أقل استعداداً لتقديم تنازلات للطرف القبرصي في أي مفاوضات مستقبلية.

المحور الرابع
الدور الخارجي لتركيا قياساً بقوتها العسكرية.

ان مجرد امتلاك دولة ما لقوة عسكرية ضاربة لايعني أنه صار بالامكان النظر اليها كقوة اقليمية كبرى أو قوة دولية طموحة، لأن العبرة لا تكمن في حرفية التملك للقوة وانما فيما تتركه هذه القوة من أثر على الآخرين سواء في مواقفهم وسلوكهم ومصالحهم او حتى في خياراتهم، بمعنى قدرة الدولة على ترجمة قوتها العسكرية الى مصالح سياسية ونفوذ موازي بأقل قدر من المقاومة وأقصى قدر من المرونة. (٤٧)

في ضوء ذلك يمكن ان نتساءل الآن» هل نجحت تركيا في ذلك فعلاً ؟ بعبارة أخرى « هل تمكنت تركيا وبفضل ما أكتسبته من وزن جديد على مستوى القوة العسكرية من التأثير في سلوك الآخرين ومواقفهم أو في خياراتهم؟ وهل حصلت بفضل قوتها العسكرية على مصالح سياسية ونفوذ سياسي يوازي ترتيبها بين القوى العالمية على المستوى العسكري؟. والأهم من كل ذلك هو فيما اذا كان ذلك قد تحقق بالقدر الأقل من المقاومة والقدر الأعلى من المرونة؟.

قد يكون من قبيل المفارقة القول بأن تركيا قد نجحت الى حد بعيد في تحقيق مطلبي التأثير في الآخرين وفي اكتساب المزيد من المصالح والنفوذ لكنها بمقابل ذلك أثارت ردود أفعال مقاومة أضرت بسمعة نموذجها وجاذبيته اقليمياً ودولياً وحفزت الخصوم على اختلاف انتماءهم وطبيعة خصومتهم لتركيا على استثمار ردود الأفعال هذه وتحويلها الى أجندة متكاملة تنال من الدور التركي في مناطق حركته على مستوى الأقاليم التي تنتمي اليها تركيا.

نعم لقد نجحت تركيا الى حد بعيد ومن خلال فاعليتها العسكرية في شمال العراق بحجة ملاحقة عناصر حزب العمال الكردستاني التركي PKK في بسط سيطرتها الأمنية على أجزاء كبيرة من شمال العراق وأقامت قواعد عسكرية ونقاط مراقبة في أكثر من ١٥ موقع في المنطقة المذكورة، ويستمر الطيران الحربي التركي والمدفعية التركية الثقيلة في قصف مناطق منتخبة في اقليم كردستان العراقي وهو ما يعني بشكل واضح أن تركيا ذاهبة الى الحد الأقصى في موقفها الرافض تماماً للمحاولات المحلية أو الدولية لاقامة

(٤٧) رغم مايذكره بعض المفكرين استناداً الى وقائع تاريخية من ان هناك حالة من عدم التناسق بين مقدار القوة ومقدار التأثير او النتيجة التي يمكن تحصيلها من توظيف القوة في الميدان وهذا كان واضحاً في مناسبات عديدة مثل فيتنام وأفغانستان واوكرانيا حالياً الا ان الاتجاه الأكثر رجحاناً في العلاقات الدولية ان القوة خصوصاً في شكلها العسكري لها كلمتها ولها مردودها وانها الشكل الأكثر فعالية بين أشكال القوة الآخرى. انظر

Mark Coldfelter, The limits of power- The American bombing of north vietnam-,Free press,1989,p 79.

قارن مع

Yuen Foong Khong, Power as prestige in world politics, International Affairs, Volume 95, Issue 1, January 2019, Pages 142–119,.

في الحقيقة فان احد أبرز الواقعيين الجدد وهو روبرت غيلبن يعد القوة العسكرية هي الوسيلة الأكثر فاعلية في اطار عملية التغيير في النظام الدولي رغم الحديث عن الآليات الأخرى السياسية والاقتصادية وما تشهده من تصاعد في الوظيفة والدور لكن تظل القوة العسكرية الأسرع والأكثر حسما بين آليات التغيير الأخرى. انظر، روبرت غيلبن، الحرب والتغيير في السياسة العالمية، ترجمة عمر سعيد الأيوبي،بيروت، دار الكتاب العربي،٢٠٠٩.

كيان مستقل أو دولة شبه مستقلة للكرد في شمال العراق مهما كلف الأمر وعبر توظيف الذراع العسكرية الضاربة لها.[٤٨] وهي أيضاً ترفض رفضا قاطعاً محاولات اقامة كيان آخر شبه مستقل للاكراد في شمال سوريا بالتماس مع الحدود الجنوبية لتركيا وتعتبره مساساً مباشراً بأمنها القومي ولهذا استخدمت مرة اخرى ذراعها العسكري للتوغل في العمق السوري لمطاردة قوات سوريا الديمقراطية – قسد – ومطالبة الحليف الأمريكي بالتوقف عن دعمه لهذه القوات أو تزويدها بالأسلحة والذخائر والمعدات، وهو الموقف الذي تتوقعه تركيا من حليف أساسي لها في الناتو. واذا ماكان الموقف التركي من قضية الفيدرالية الكردية في العراق قد التقى مع الموقف الايراني بهذا الخصوص فان الموقف التركي من اكراد سوريا قد وجد تفهماً من الجانب الروسي أكثر من الحليف الأمريكي، وكان هذا أحد اهم أسافين الخلاف بين انقرة وواشنطن، حيث اعتبرت الاخيرة ان تركيا تغادر مواقعها في حلف الناتو وتتوجه الى خصم تقليدي وهو روسيا.[٤٩] وبموجب جسور الالتقاء مع روسيا من جهة ومع ايران من جهة ثانية وقعت تركياعلى اتفاقات ثنائية مع روسيا سمحت لتركيا بالقيام بعمليتين عسكريتين واسعتين شرق الفرات لتدمير قواعد قوات سوريا الديمقراطية وفرض حزام امني في العمق السوري تحت السيطرة التركية، الى جانب شراكة الطرفين (تركيا وروسيا) مع ايران في احتضان مؤتمرات استانة وسوشي لحل الأزمة السورية بدون مشاركة أمريكية او غربية. وهنا يتجلى المردود السلبي للقوة العسكرية التركية في علاقاتها مع الخارج وخصوصاً مع الحلفاء الغربيين.[٥٠]

ومرة أخرى تنجح القوة العسكرية التركية في تحقيق معادلة جديدة للقوة في شرق المتوسط، فأردوغان يعارض معاهدة لوزان المبرمة عام ١٩٢٣ التي حددت الحدود الجغرافية بين تركيا واليونان، وينتظر بفارغ الصبر عام ٢٠٢٣ لإعادة صياغتها بمناسبة

(٤٨) يقع اقليم كردستان في الطرف الجنوبي الغربي لقارة آسيا في الأجزاء الشمالية الشرقية للعراق ويشكل موقعه جسراً أرضياً من الغرب نحو سوريا وسواحل البحر المتوسط ومن الشمال الى تركيا ومن الشرق نحو ايران،ويعد الاقليم طريقاً برياً يربط العراق بأوربا عبر تركيا.وبسبب موقعه هذا وامكاناته المتنوعة أصبح بؤرة للصراع بين القوى الاقليمية والقوى الكبرى للسيطرة عليه.. أنظر.. نشوان شكري هروري،أثر الموقع الجغرافي لاقليم كردستان على دول الجوار تركيا نموذجاً– مجلة متين ، العدد ٢٠٠١،١١١، ص ٨١.وحسب ماذكره الدكتور سعد البزاز فان الأتراك سارعوا الى توظيف ورقة التركمان في العراق لقطع الطريق أمام الأكراد لضم المدينة الاستراتيجية الغنية بالنفط الى أي مشروع للاستقلال أو حتى الفيدرالية الكردية المفترضة هناك، ومن أجل ذلك تم منح التركمان في المدينة الجنسية التركية لتسهيل وتقنين قضية فرض الحماية عليهم وعلى المدينة. انظر.. سعد البزاز، الأكراد في المسألة العراقية، أحاديث وحوارات ، ١٩٩٦، ط١، عمان، الدار الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، ص – ص ٩٣– ٩٤.

(٤٩) ولعل وصف وزير الخارجية الأمريكي أنتوني بلينكن لتركيا مؤخرا بأنها " شريك استراتيجي مزعوم" وأن فكرة وجود شريك استراتيجي على علاقة وثيقة بروسيا هي " فكرة غير مقبولة"، يوضح ما آلت وما يمكن أن تؤول إليه الأمور بين أنقرة وواشنطن خلال الفترة المقبلة. نقلاً عن صالحة علام، هل قررت أمريكا استبدال علاقتها مع تركيا والتعاون مع اليونان، مقال متاح على الرابط الأليكتروني الآتي» **https://mubasher.aljazeera.net/opinions/12/11/2021/%D%87%9**

(٥٠) لقد جدد الرئيس التركي رجب طيب أردوغان التهديد بعملية عسكرية في شمال سوريا لاستئصال من أسماهم بالارهابيين، وقال في خطاب له امام البرلمان التركي يوم ١ حزيران ٢٠٢٢ ان بلاده تخطط للانتقال الى مرحلة جديدة في عملية اقامة منطقة آمنة بعمق ٣٠ كلم عند الحدود الجنوبية للبلاد، متعهداً بتنظيف منبج وتل رفعت ومؤكداً ان هناك خطوات قادمة ستأتي تباعاً ،وعلى وقع التحذيرات الأمريكية من العملية التركية الجديدة قال الرئيس التركي» سنرى من يقف مع العملية العسكرية المشروعة لتركيا في مواجهة الارهابيين ومن يقف معها. انظر..أردوغان يهدد بعملية عسكرية في شمال سوريا وسط تحذيرات أمريكية، مقال متاح على الرابط الأليكتروني الآتي «

https://www.bbc.com/arabic/middleeast61663289-

مرور مئة عام على إبرامها، وهو ما يثير مخاوف اليونانيين خصوصا وأنه في حال اندلعت حرب بين الدولتين فإن ميزان القوى العسكرية بين البلدين يميل لصالح تركيا، وبالتالي فوجود قوات أمريكية على أراضيها يعد حائط صد أمام أي تحرك عسكري تركي.

بالإضافة إلى رفض أردوغان محاولات التنقيب عن الغاز شرق المتوسط بصورة منفردة من جانب اليونان أو جنوب قبرص حفاظا على حقوق الأتراك وحقوق شمال قبرص في ثروات المنطقة، وهو ما يعيق محاولات اليونان للخروج من أزمتها الاقتصادية عن طريق استثمار ثروات المنطقة بالشراكة مع كل من مصر وإسرائيل، الأمر الذي تشجع عليه واشطن وتدعمه بقوة في حين ترفضه تركيا رفضاً قاطعاً.(٥١)

ونجح الذراع العسكري لتركيا أيضا في ردع احتمالات التدخل العسكري في قطر عام ٢٠١٧ على خلفية المقاطعة الخليجية بقيادة المملكة العربية السعودية وحصارها لقطر. وقد اشيع في حينها أن الخلاف بين الطرفين كان من المحتمل أن يصل الى حد قيام القوات السعودية والاماراتية باجتياح الأراضي القطرية وان قضية التدخل العسكري هذا قد تجاوزت مجرد الاحتمالات فحسب وان الدلائل توافرت على تحققه لولا التواجد العسكري التركي في قطر.(٥٢)

وفي اطار الحرب الأهلية في ليبيا فقد كسرت القوات التركية حصار قوات المشير خليفة حفتر قائد مايعرف بالجيش الوطني الليبي للعاصمة طرابلس عام ٢٠١٩ وتحضيره لاقتحامها بالقوة بعد اعلانه اسقاط اتفاق الصخيرات لعام ٢٠١٥ الذي تشكلت بموجبه حكومة الوفاق الوطني ومؤسسات الدولة الجديدة في ليبيا ، وأوقف كل أشكال التفاوض مع الحكومة مدعوما من قوات فاغنر الروسية ومن مصر والامارات وفرنسا وأعلن عن بداية معركة الاقتحام للعاصمة الى أن تدخل سلاح المسيرات التركي والصواريخ الموجهة فاتقلبت المعركة رأساً على عقب وتراجعت قوات المشير حفتر ليس فقط عن العاصمة فحسب وانما انسحبت كذلك من قاعدة الوطية ومدينتي ترهونة وبني وليد وأجبر في النهاية المشير على توقيع اتفاق الهدنة الدائمة في تشرين الأول ٢٠٢٠ مما سمح باستمرار المفاوضات السياسية بين الفرقاء واقرار الدستور واجراء الانتخابات وتشكيل السلطة التنفيذية.(٥٣)

الا أن المناسبة الأكبر التي أعلن فيها الجيش التركي عن مقدرته العالية وجاهزيته القتالية خارج الحدود كانت في الحرب بين أرمينيا وأذربيجان حول اقليم ناغورني كاراباخ في ٢٧ تشرين الأول ٢٠٢٠ ، وهو الاقليم الذي تحتله أرمينيا من أذربيجان منذ سقوط الاتحاد السوفيتي السابق .ففي هذه الحرب دمرت المسيرات التركية والصواريخ الجوالة أنظمة الدفاع المحصنة للقوات الانفصالية لجمهورية (أرتساخ) المدعومة من أرمينيا وانظمة الرادار الأليكترونية الروسية الى جانب تدميرسلاح المدرعات الأرمينية على

(٥١) يدور جدل كبير حول ما يعنيه انتهاء التحديد الزمني لمقررات مؤتمر لوزان للعام ١٩٢٣

(٥٢) اسامة الرشيدي، تركيا جدل القوة الصلبة والناعمة، مصدر سبق ذكره، ص ١٣.

(٥٣) تم التدخل العسكري التركي في ليبيا استناداً الى الاتفاق العسكري الموقع بين حكومة الوفاق الوطني المعترف بها دولياً برئاسة فايز السراج وتركيا واتفاقية ترسيم الحدود البحرية بين البلدين في تشرين الثاني ٢٠١٩ ،ووفقاً لاعلان وزارة الدفاع التركية فقد سجلت الامم المتحدة الاتفاقية المذكورة في تشرين الثاني ٢٠٢٠ .انظر تقرير وكالة رويترز للأنباء على الموقع الأليكتروني الآتي» https://www.france24.com/ar/-20201002

الأرض بكثافة فاضطرت أرمينيا الى الاعتراف بالأمر الواقع وتوقيع اتفاق وقف اطلاق النارفي ١٠ كانون الأول ٢٠٢٠.[٥٤] هذا يعني وبالدلائل أن القدرات العسكرية التركية لم تكن مجرد أرقام او بيانات على الورق وانما تم اختبار هذه القدرات ميدانياً في اماكن مختلفة من العالم ، والأهم من كل ذلك ان القوات المسلحة التركية قد أثبتت فاعليتها في ادارة أكثر من حرب في وقت واحد وفي ساحات عمليات مختلفة وفي مواجهة خصوم متنوعين ومتعددين وبنفس الجاهزية والقدرة على ادامة زخم الحرب على هذه الساحات. لكن هذا المستوى الرفيع من الآداء العسكري خارج الحدود وتصاعد القدرة الذاتية على توفير متطلبات هذا التوسع في العمليات العسكرية قد جلب لتركيا الكثير من المشاكل السياسية والأمنية والاقتصادية في كل مناطق انتشارها وفعلها العسكري.

لقد خسرت تركيا فعلياً رصيداً كبيراً من علاقاتها السياسية وروابطها العسكرية وتنسيقها الأمني والاستخباري مع الكثير من دول المحيطين الشرقي والغربي على حد سواء. فبسبب تدخلها المباشر في الأزمة الخليجية بين قطر من جهة والسعودية ودول مجلس التعاون الخليجي من جهة أخرى ومسارعتها الى الانتشار عسكرياً على الأراضي القطرية خسرت تركيا علاقتها بالطرف الاقليمي الأقوى وهو المملكة العربية السعودية. وبسبب دعم تركيا لحركة الاخوان في مصر ونظام حكم الرئيس المصري الراحل محمد مرسي ومن بعد ذلك خلافها مع مصر حول ليبيا وتدخلها العسكري المباشر هناك بالضد من قوات المشير خليفة حفتر المدعوم من قبل القاهرة وكذلك الخلاف حول حقوق التنقيب في شرق المتوسط كل ذلك أسهم في تسميم أجواء العلاقة مع الطرف الاقليمي القوي الآخر وهو مصر .وخسرت تركيا مرة ثالثة علاقاتها وروابطها مع كل من العراق وسوريا على خلفية التدخل العسكري في كلا البلدين تحت غطاء ملاحقة المتمردين من حزب العمال الكردستاني في شمال العراق والقضاء على تهديدات قوات سوريا الديمقراطية للأمن القومي التركي في حدوده الجنوبية.

واذا ما وضعنا جانباً العلاقة المتوترة أصلاً بين كل من تركيا واليونان وتركيا وقبرص اليونانية سنجد ان تركيا وللمرة الأولى أصبحت تقف على طرف مناوئ لشركائها التقليديين في الناتو وفي كثير من القضايا التي يقف في المقدمة منها الافراط التركي في استخدام القوة العسكرية لحل مشاكلها في مناطق حركتها الاقليمية انطلاقاً من رؤيتها الخاصة لمصالحها الذاتية ودون اعتبار لمصالح ورؤى شركائها الأطلسيين، أضف الى ذلك ماتركته صفقة الصواريخ الاعتراضية S٤٠٠ التي اشترتها تركيا من روسيا من مشاكل على صعيد العلاقات بين طرفي الشراكة الأطلسية الى الحد الذي دفع بالكثير

(٥٤) بعد الاستيلاء على شوشا ثاني أكبر مدينة في ناغورنو كاراباخ، تم توقيع اتفاق وقف إطلاق النار بين رئيس أذربيجان إلهام علييف ورئيس وزراء أرمينيا نيكول باشينيان والرئيس الروسي فلاديمير بوتين لوقف جميع الأعمال العدائية في المنطقة من الساعة ٠٠:٠٠ يوم ١٠ نوفمبر ٢٠٢٠ بتوقيت موسكو.، كما وافق رئيس أرتساخ أرايك هاروتيونيان على تلك المعاهدة، وبموجب الاتفاقية ستعيد أرمينيا الأراضي المحيطة التي احتلتها سنة ١٩٩٤ إلى أذربيجان، وستحصل أذربيجان أيضًا على منفذ بري إلى أراضيها ناخيتشيفان المتاخم لتركيا وإيران.، وسيتم نشر حوالي ٢٠٠٠ جندي روسي لتكون قوات حفظ سلام على طول ممر لاتشين بين أرمينيا وناغورنو كاراباخ لفترة لا تقل عن خمس سنوات.نص الاتفاق منشور على موقع الشبكة العنكبوتية الانترنت (ويكبيديا) https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8 ، تاريخ الزيارة ٢٠٢٢/٦/٢٣.

من المتابعين لهذه العلاقة التاريخية خصوصاً في الولايات المتحدة الامريكية بالتشكيك في جدوى استمرار شراكة الناتو مع تركيا

والمطالبة بطرد تركيا منه[٥٥] والتحول الى خيار جديد تمثله اليونان كحليف ذو مصداقية ويمكن الاعتماد عليه الآن وفي المستقبل.[٥٦]

على المستوى الاقتصادي وبسبب التركة السلبية للتدخلات العسكرية التركية في الخارج فقد تعرضت شبكة علاقاتها ومنافعها الاقتصادية الى أضرار كبيرة على غرار الأضرار التي لحق بمنظومة علاقاتها السياسية الخارجية. ويعد الاقتصاد التركي من الاقتصادات الناشئة التي حققت نجاحات مبهرة خلال عقدين فقط من الزمن وبمعدلات نمو سنوي مرتفعة مكنت الاقتصاد التركي من دخل نادي الاقتصادات الكبرى في العالم (كما مبين في الجدول رقم ٣) وبتوقعات مستقبلية تجعله مرشحاً ليصبح واحداً من الأقتصادات العشرة الكبرى في العالم بحدود عام ٢٠٣٠ كما مبين في الجدول رقم (٤).

٥٥ – لعل أبرز المطالبين بطرد تركيا من الناتو البروفيسور والكاتب الفرنسي الشهير برنارد هنري ليفي الذي يقول» يبدو أنَّ أردوغان اختار (داعش) على الأكراد؛ ولكن يجب أن نقول لأردوغان: إنَّ المعركة ضد داعش تعدّ لحظة الحقيقة، لقد قاومت تركيا المشاركة في حرب العراق عام ٢٠٠٣، وإذا فعلت ذلك مجددًا، فإنّ مستقبلها في الناتو سيكون موضع تساؤل وشك،وكذلك جوناثان تشانجر –نائب مدير البحوث في مؤسسة الدفاع عن الديمقراطيات في واشنطن– إلى أنَّ «الفوضى في سوريا تؤكد حقيقة مزعجة: أنَّ الأتراك لم يعودوا حلفاء يمكن الاعتماد عليهم؛ إذ أظهرت الأزمة السورية أنَّ تركيا في ظل حزب العدالة والتنمية تعد قضية خاسرة؛ ولذلك فهي ببساطة ليست شريكًا للناتو.نقلاً عن عمار يوسف قدورة، عضوية تركيا في حلف الناتو ومطالب الاقصاء ، مركز الجزيرة للدراسات ، ٢٧ نوفمبر ٢٠١٤ على الرابط الاليكتروني الآتي» https:// html.٢٠١٤١١٢٧٨٣٤٥١٤٤٥١٦٣/١١/٢٠١٤/studies.aljazeera.net/ar/issues

٥٦ – يشهد الوجود العسكري الامريكي في اليونان تصاعدا ملفتاً للنظر في االسنوات الأخيرة، اذ أصبح لدى واشنطن حاليا داخل قواعدها العسكرية القديمة والحديثة في اليونان التي ارتفعت الى ٢٣ موقع عسكري في كل من الكساندروبولس ولاريسا وستيفانوفيكيو وتراقيا الغربية وخليج سودا بجزيرة كريت القريبة من الحدود مع تركيا، أصبلح لديها ١١٠ مروحيات من طراز (بلاك هوكس) و١٠ مروحيات نقل ثقيلة من طراز (شينوك) و٢٥ مروحية هجومية من نوع (أباتشي) و ١٨٠٠ مدرعة عسكرية، إلى جانب المئات من العسكريين.هذا واستلمت البحرية اليونانية بالفعل أول خمس طائرات من طراز بي–٣بى أوريون، وتقدمت أثينا كذلك بطلب لشراء سبع طائرات هليكوبتر من طراز (روميو) خلال عامي ٢٠٢٠ و٢٠٢١ ، إلى جانب وجود مفاوضات بين البلدين بشأن صفقات سلاح تبلغ قيمتها حوالي ١١ مليار دولار، وتشمل قيام واشنطن بتحديث ٨٤ طائرة من طراز إف–١٦، و١١ طائرة هليكوبتر من طراز (أجيان هاوك) لصالح القوات الجوية اليونانية.نقلاً عن صالحة علام، هل قررت أمريكا استبدال علاقاتها مع تركيا والتعاون مع اليونان، مصدر سبق ذكره.

جدول رقم ٤ يبين ترتيب أضخم الاقتصادات العالمية بحلول عام ٢٠٣٠

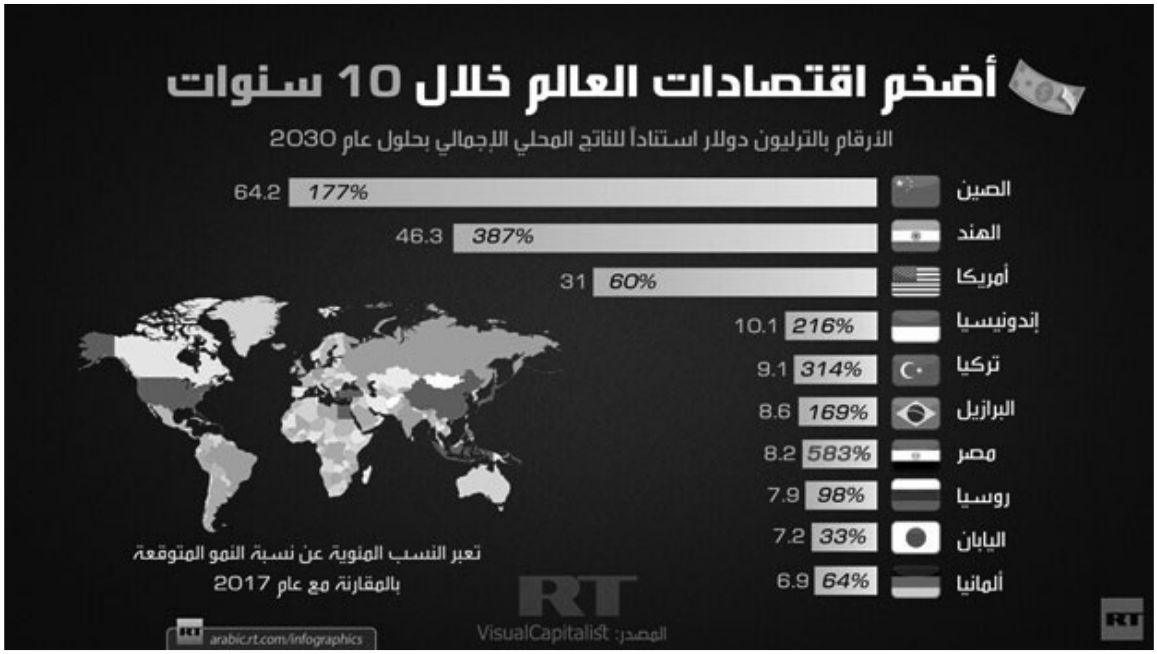

جدول رقم ٥ يبين التوقعات المستقبلية لأضخم الاقتصادات العالمية عام ٢٠٣٠

يتبين من الجدول أعلاه أن الاقتصاد التركي كان مرشحاً لاحتلال المرتبة الخامسة عالمياً بين أضخم الاقتصادات بحلول عام ٢٠٣٠ والغريب في الأمر ان هذه التوقعات قد وضعت الاقتصاد التركي قبل اقتصادات عملاقة مثل اليابان وألمانيا وروسيا.

ولما كانت القاعدة تقضي بأن كثرة الانشغالات العسكرية والانغماس المكثف في الحروب الخارجية يستهلك ميزانيات الدول ويحول أنشطتها الاقتصادية لخدمة أعباء الحروب فان الاقتصاد التركي هو الآخر يتعرض للانهاك بفعل الانشغالات العسكرية التركية في الخارج واصرار القيادة التركية على تبني سياسات اقتصادية غير تقليدية من قبيل الضغط على البنك المركزي للابقاء على أوطأ سعر للفائدة الامر الذي ولد عزوفاً عن الايداع وضغطاً شديداً على الاحتياطيات المالية في البلاد. بسبب ذلك كله تهاوت الليرة التركية الى ادنى مستوياتها وفقدت أكثر من ٥٠٪ من قيمتها امام الدولار الأمريكي وتصاعدت نسبة التضخم لتصل الى ٢٥٪ خلال العام الجاري ٢٠٢٢ فتدنت الأجور بنسبة مماثلة وارتفعت أسعار السلع الاساسية والمواد الغذائية بنسبة تصل الى ١٠٠٪ خلال الأعوام الثلاثة الماضية فقط.(٥٧)

ورغم ان المؤشرات البيانية ووفقاً لهيئة الاحصاء التركية أشارت الى أن الاقتصاد التركي حقق أعلى معدل نمو خلال الربع الأول من العام الجاري ٢٠٢٢ بنسبة تصل الى ٧,٣ وبناتج محلي يتجاوز ١٧٩,٨ مليار دولار لنفس الفترة.(٥٨) رغم ذلك تستمر معدلات التضخم بالارتفاع وتستمر الليرة التركية في خسارة المزيد من قيمتها قياساً بالدولار الأمريكي وتتصاعد معدلات الفقر بين الأتراك. ولم تكن هذه المشاكل الا نتيجة للعقوبات التي فرضتها الادارة الامريكية في ادارة الرئيس الامريكي دونالد ترمب عام ٢٠٢٠ على هيئة الصناعات العسكرية التركية ورئيسها اسماعيل دمير وعلى الأشخاص والشركات المسئولين عن اعمال الحفر والتنقيب في شرق المتوسط ، اضافة الى حملات المقاطعة التي دعت اليها كل من مصر والسعودية والامارات للبضائع والمنتجات التركية على خلفية تردي العلاقات السياسية بين هذه البلدان وتركيا خلال السنوات القليلة الماضية بسبب الدعم العسكري التركي لقطر وفعالياتها العسكرية في ليبيا وشرق المتوسط.(٥٩)

هكذا بدت تركيا بين خيارين أحلاهما مر اما التضحية بتجربتها للتنمية الاقتصادية التي ألهمت الكثير من دول العالم النامي أو التضحية ببعض من (كبرياءها القومي)

(٥٧) بورزو دراغي، الأزمة الاقتصادية في تركيا وتأثير التضخم على حياة العائلات والأفراد، /قال نشرته صحيفة الأندبندنت البريطانية بتاريخ ٨ كانون الثاني ٢٠٢٢ ونشرت ترجمته على الموقع الأليكتروني الآتي»
https://www.bbc.com/arabic/inthepress59917480-

(٥٨) انظر بيانات هيئة الاحصاء التركية منشورة على الرابط الأليكتروني الآتي» https://www.aa.com.tr/ar/-٢٠٢٢-٢٦٠١٨٢٠/

(٥٩) تجاوزت صادرات تركيا إلى الدول العربية حاجز ٣٠ مليار دولار عام ٢٠١٩، من أصل ١٨٠,٥ مليار دولار، هي إجمالي حجم الصادرات التركية، وفق تصريحات وزيرة التجارة التركية روهصار بكجان، مطلع العام الجاري.وتحتل مصر المركز الثالث في قائمة أكبر المستوردين العرب من تركيا بعد العراق والإمارات، وذلك بنحو ٣,٣ مليارات دولار عام ٢٠١٩، في حين تعد تركيا من أهم ٥ دول تستقبل الصادرات المصرية، بقيمة تقترب من ملياري دولار سنويا.انظر ..مقال بعنوان هل تتجر مصر الى حملة السعودية والامارات في مقاطعة البضائع التركية، المقال متاح على الرابط الأليكتروني الآتي»
https://www.aljazeera.net/news/20/10/2020

والتحرك لاحتواء الآثار المدمرة (سياسياً واقتصادياً) لذراعها العسكرية في الخارج. وربما يكون الرئيس التركي رجب طيب أردوغان قد أدرك الحاجة الملحة لتركيا الى اعادة تطبيع الاوضاع مع من أصبحوا خصوماً لها في المنطقة خصوصاُ وان الاقتصاد التركي لايملك رفاهية خسارة أي من أسواقه الخارجية النشطة في مرحلة حرجة من عمر النهضة الاقتصادية التركية فعمد الى القيام بسلسلة من الزيارات الى السعودية والامارات لاعادة جسور الثقة الى العلاقات المشتركة مع البلدين اضافة الى حوارات ولقاءات مكثفة مع المسئولين في مصر لكسر جمود العلاقة بين البلدين تمهيداً لاستعادة وضعها الى ماقبل أحداث سيطرة العسكر على الحكم في مصر وأزمة الحرب في ليبيا. ويمكن قول الشيء نفسه عن مساعي الرئاسة التركية لترطيب أجواء العلاقة مع اسرائيل التي مرت بالكثير من المطبات خلال السنوات القليلة الماضية ومحاولة استثمار حالة الحرب بين روسيا واوكرانيا لتغطية النقص الحاصل في امدادات الطاقة والغذاء على المستوى العالمي من ناحية ومن ناحية ثانية استثمار حالة الاحباط التي يستشعرها الخليجيون من الاهمال الذي تتعامل به الولايات المتحدة الأمريكية مع مخاوفهم الامنية خصوصاً مايتعلق منها بالحد من المساعي النووية لايران وانشطتها المزعزعة لاستقرار أمن المنطقة وتتقديم نفسها كضمانة أمنية وعسكرية مناسبة وموثوقة بحكم الروابط المشتركة بين الطرفين.

هنا ادركت تركيا ولو بعد دروس قاسية ان القوة العسكرية رغم أهميتها وفاعليتها في تحصيل التائج الفورية على الأرض لكنا كفيلة بتضييع المزايا الاقتصادية والسياسية مع مرور الوقت وقد يكون ذلك منطلقاً جديدا لتركيا تستعيد فيه التوازن المطلوب بين القوة العسكرية وبين اغراءات الاقتصاد وبراعة السياسة والدبلوماسية ، بعبارة اخرى استعادة التوازن الخلاق بين المحفظة والمخلب.

الخاتمة

في الحقيقة يمكننا ان نلخص الأسباب التي تقف وراء حسم تركيا لخيارها باتجاه تفضيل الأداة العسكرية على غيرها من الأدوات في سياستها الخارجية ، وعندما نستعرض هذه العوامل نستطيع أن نقول وبثقة أنه كان خيار المضطر أكثر من كونه تعبيراً عن فيض القوة مثلاً. ومن بين هذه العوامل .

اولا– التحديات التي فرضتها عليها لعبة التوازنات في المنطقة، بينها وبين ايران والسعودية ومصر واسرائيل.

ثانياً ثورات الربيع العربي وطبيعة الفراغ الناشئ في بلدانها وتداعي قوى مختلفة اقليمية وعالمية لشغل هذا الفراغ بشكل أو بآخر ولم يكن ممكناً أبداً الانتظار الى حين فراغ اللعبة من وجهة النظر التركية.

ثالثاً– مشاعر الاحباط والتذمر من الدور التقليدي لتركيا في اطار الناتو واهمال الشركاء الأطلسيين لمصالح تركيا الحيوية ومخاوفها الأمنية في مسائل كثيرة فلم يكن من خيار غير الاعتماد على الذات وبناء القوة التي تجبر الآخرين على احترام ارادة الأتراك ومصالحهم.

رابعاً – طموحات تركيا لما بعد الحرب الباردة وغياب القطب السوفيتي عن السياسة الدولية، وهي طموحات جمعت بين أوراسية القوميين الأتراك على أساس جيوبولتيكي وعثمانية الاسلاميين على أساس تاريخي وحضاري.

خامساً – طبيعة التهديدات التي أصبحت تواجه تركيا عسكرياً وامنياً وتتطلب قراراً عسكرياً تركياً بحتاً لم يكن بالامكان اتخاذه وتنفيذه من دون قرار آخر بتحرير تركيا من ربقة الهيمنة الغربية على واردات الأسلحة الى تركيا وتحكمها في مستويات وانماط تسليحها وادوارها العسكرية الخارجية.

وبالفعل لقد نجحت تركيا في بناء قوتها العسكرية بزمن قياسي لايزيد عن عقد فقط من عمر الزمن وتم تدعيم هذه القوة ذاتياً بأغلب، وفي بعض الاحيان بكل ماتحتاجه من أسلحة وذخائر ومعدات مكنتها تدريجياً من تحقيق انجازات عسكرية داخل وخارج حدود تركيا، وهي انجازات أجبرت الكثيرين على القبول بالأمر الواقع الجديد الذي فرضته قوة تركيا العسكرية في الميادين والدخل في تسويات سياسية وأمنية تعمل لصالح تركيا قبل غيرها. لكن ومن دون شك أكتشف صناع القرار التركي أن بلادهم تخسر تدريجياً علاقتها مع الآخرين في الشرق الأوسط (السعودية والامارات ومصر واسرائيل وسوريا و حتى العراق) وهي دول تمثل رافعات النجاح الاقتصادي التركي بالنظر للشراكات الاقتصادية مع هذه البلدان ولأسواقها الواعدة بالنسبة للمنتجات التركية المختلفة ، وتخسر كذلك علاقاتها في اوربا (مع دول الاتحاد الاوربي وتحديداً فرنسا وألمانيا والسويد وفنلندا) وكذلك مع الولايات المتحدة الامريكية كقائد لحلف الناتو.وجميعها تمثل مناطق ارتكاز اساسية للتبادل الاقتصادي التركي مع الخارج وشريكاً امنيا وعسكرياً لايمكن الاستغناء عنه على الأقل في الوقت الراهن. هنا كان لابد من العودة الى خيار الموازنة العقلانية

بين المحفظة والمخلب بين القوة الناعمة واغراءاتها وبين القوة الصلبة واسقاطاتها ومحاولة اصلاح ما أفسدته الأخيرة في أجواء الاولى عبر دبلوماسية القنوات الخلفية أحياناً أو الزيارات المباشرة على المستوى الاول احياناً اخرى أو بالتسويات المقبولة لدى جميع الاطراف بما فيها الأتراك في احيان ثالثة.

نعم لقد حققت القوة العسكرية مصالح مهمة وبشكل سريع ، وأنجبت الهيبة التي تتناسب والعقلية التركية التي تختزن تاريخاً من العظمة أيام العثمانيين ومهدت الطريق لمصالح اكبر في مناطق اقليمية مختلفة وفرضت على من يهددون الأمن القومي التركي حسابات جديدة لم يكونوا يتوقعونها مسبقاً، لكن بالمقابل جلبت الخيارات العسكرية لتركيا عداوات وتقاطعات أكلت الكثير من جرف نموذجها الذي اجتهدت في تقديمه للمنطقة والعالم على أنه معجزة يصنعها شعب عظيم مؤمن بنفسه وبتاريخه وواثق من استحقاقاته ومتطلعاً لدور يليق به على المستوى العالمي، بل أن تداعيات الانغماس التركي المكثف في الصراعات المسلحة رغم فاعليته قد تهدد هذا النموذج برمته وتطيح بمزاياه الاقتصادية كما تفعل الحروب في كل مكان وحين. وهذا هو تحديداً ماياخذه الصينيون حتى على الولايات المتحدة الامريكية التي أشغلت نفسها بالحروب في مناطق كثيرة من العالم وأرهقت نفسها بالعداوات الخارجية وتبعاتها الاقتصادية في حين تفرغ الصينيون وحتى الروس في وقت سابق من العقد الماضي لبناء القوة من أجل تحدي الهيمنة الامريكية على العالم، فهل استوعب الأتراك الدرس قبل فوات الآوان.؟